جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الأنبار
كلية التربية للعلوم الانسانية
قسم اللغة العربية

تجليات الخطاب الديني في الشعر الأندلسي في عصر بني الأحمر انموذجاً، دراسة تحليلية

رسالة مقدمة

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة الأنبار

وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها

من طالب الماجستير

محمد هاتف عبيد صباح المحمدي

إشراف

الأُستاذ الدكتور

محمود شاكر ساجت الجنابي

١٤٤٤هـ ٢٠٢٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ
وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا
تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

من سورة المجادلة الآية: ١١

إقرار المشرف

أشهد أنَّ اعداد هذه الرسالة الموسومة بـ(تجليات الخطاب الديني في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر انموذجا، دراسة تحليلية)، المقدمة من طالب الماجستير(محمد هاتف عبيد صباح المحمدي)، قد جرى بإشرافي في كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها.

التوقيع:

المشرف: الأستاذ الدكتور

محمود شاكر ساجت الجنابي

جامعة الأنبار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ: 17/ 8 / 2022م

توصية رئيس قسم اللغة العربية.

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الرسالة للمناقشة.

التوقيع:

الأستاذ الدكتور: عثمان عبدالحليم جلعوط

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ: 17 / 8 / 2022م

إقرار المقوّم العلمي

أشهد أنّي قد قرأتُ هذه الرسالة الموسومة بـ(تجليات الخطاب الديني في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر انموذجا، دراسة تحليلية)، المقدمة من طالب الماجستير (محمد هاتف عبيد صباح المحمدي)، إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ووجدتها صالحة للمناقشة من الناحية العلمية .

كما أتعهد بمراعاة الدقة في التقويم، وعدم الاكتفاء ببحث الإطار العام للرسالة ومنهج البحث العلمي والعمل على ضمان السلامة الفكرية، وعدم هدم النسيج الوطني واللحمة الوطنية، والطلب من مقدم الرسالة حذف الفقرات والعبارات المسيئة لها، وبخلاف ذلك أتحمل التبعات القانونية كافة، ولأجله وقعت .

توقيع المقوّم العلمي:

الاسم واللقب: أ.م.د. عبد محمود عبد

جامعة تكريت /كلية الاداب

التاريخ: 14 / 9 / 2022م

إقرار المقوّم العلمي

أشهد أنّي قد قرأتُ هذه الرسالة الموسومة بـ(تجليات الخطاب الديني في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر انموذجا، دراسة تحليلية)، المقدمة من طالب الماجستير (محمد هاتف عبيد صباح المحمدي)، إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية بجامعة الأنبار، وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، ووجدتها صالحة للمناقشة من الناحية العلمية .

كما أتعهد بمراعاة الدقة في التقويم، وعدم الاكتفاء ببحث الإطار العام للرسالة ومنهج البحث العلمي والعمل على ضمان السلامة الفكرية، وعدم هدم النسيج الوطني واللحمة الوطنية، والطلب من مقدم الرسالة حذف الفقرات والعبارات المسيئة لها، وبخلاف ذلك أتحمل التبعات القانونية كافة، ولأجله وقعت .

توقيع المقوّم العلمي:

الاسم واللقب: أ.د. ابراهيم خليل عجيمي

جامعة الانبار /كلية الاداب

التاريخ: 14 / 9 / 2022م

قرار لجنة المناقشة

نشهد نحن أعضاء لجنة المناقشة أنّنا قد اطلعنا على الرسالة الموسومة بـــ(**تجليات الخطاب الديني في الشعر الأندلسي عصر بني الأحمر أُنموذجاً، دراسة تحليلية**)، المقدمة من طالب الماجستير(**محمـــد هاتف عبيد صباح المحمدي**)، وقد ناقشنا الطالب في محتوياتها وفيما له علاقة بها، ونعتقد أنَّها جديرة بالقبول لنيل درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها بتقدير(جيد جداً).

التوقيع:

أ.د. رعد ناصر مايود

عضواً

١٩ / ١٠ /٢٠٢٢م

التوقيع:

أ.م.د. سلام علي حمادي

عضواً

١٩ / ١٠ / ٢٠٢٢م

التوقيع:

أ.د. محمود شاكر ساجت الجنابي

عضواً ومشرفاً

٢٢ /١٠/ ٢٠٢٢م

التوقيع:

أ.د. لطيف محمود محمد

رئيساً

٢٢ /١٠/ ٢٠٢٢م

صادقها مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة الأنبار.

توقيع العميد

أ.د. طه إبراهيم شبيب

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

٦ / ١١ /٢٠٢٢م

الإهــداء

إلـــــى...

روح أبي وأمي، طيب اللّه ثراهما وتغمدهما بواسع رحمته.

رفيقة دربي وسندي في الحياة زوجتي الغالية.

من هم عزوتي وسندي في الحياة أخوتي وأولادهم الأعزاء.

جميع أصدقائي الذين كانوا لي عوناً وسنداً بعد اللّه تعالى.

من غاب عن العين، ولم يغب عن القلب ابن العم هشام إبراهيم رحمه اللّه تعالى.

كل من أسهم في تقديم النصح والإرشاد ولو بحرف في مسيرتي الدراسية.

كل هؤلاء أهديهم هذا الجهد.

الشكر والتقدير

الحمد لله أولاً وآخراً، والصلاة والسلام على نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)، لا يسعني إلا ان أقدم شكري وتقديري لمشرفي الأستاذ الدكتور **(محمود شاكر ساجت)**، فقد كان لإشرافه الدقيق، وتوجيهه المتواصل لي الفضل الكبير –بعد الله سبحانه تعالى في إكمال هذا البحث، فهو لم يبخل عليّ بنصيحةٍ خالصةٍ وملاحظةٍ قيّمةٍ، وبذل أقصى جهده في تذليل الصعوبات التي واجهتني في بحثي، وخصني من وقته وعلمه الشيء الكثير، فأحاطني بعنايته وارشاده، فكانت توجيهاته نوراً أضاء لي الطريق، فجزاه الله عني وعن العلم خير الجزاء.

كما أقدم شكري وتقديري لرئيس قسم اللغة العربية الأستاذ الدكتور**(عثمان عبد الحليم الراوي)** الذي كان لنا نعم الأخ والصديق فجزاه الله خيراً.

كما أقدم شكري وتقديري لأساتذتي في قسم اللغة العربية الذين أفادونا بتوجيهاتهم وإرشاداتهم القيمة، فكانوا يحرصون على طلبة العلم وهذا ديدنهم وما عرفوا به.

كما وأقدم شكري وتقديري للدكتور **(محمد عبيد السبهاني)** الذي كان له الفضل الكبير في اختيار عنوان الرسالة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

الباحث

محمد هاتف عبيد

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية الكريمة	ب
الاهداء	و
الشكر والتقدير	ز
المحتويات	ح-ط
المقدمة	١-٣
التمهيد: دراسة الجوانب السياسية، الاجتماعية، الثقافية، الدينية	٤-٢٢
الفصل الاول: بواعث الخطاب الديني.	٢٣-٥٥
المبحث الأول: سقوط المدن.	٢٨-٣٦
المبحث الثاني: الدعوة إلى استنهاض الهمم لمقاتلة الأعداء	٣٧-٤٨
المبحث الثالث: مظاهر الآخرة (الموت، الشيب، المعاد)	٤٩-٥٥
الفصل الثاني: مضامين الخطاب الديني.	٥٦-١٠٤
المبحث الأول: مضامين الخطاب الديني القرآني.	٦١-٨٥
المبحث الثاني: مضامين الخطاب الديني النبوي.	٨٦-٩٥
المبحث الثالث: مضامين الخطاب الديني التاريخي	٩٦-١٠٥
الفصل الثالث: أثر الخطاب الديني في الصورة الشعرية	١٠٦-١٣٢
مفهوم الصورة	١٠٦-١١٠
الصورة البيانية	١١١-١١٤
المبحث الأول: الصورة التشبيهية	١١٥-١٢٢
المبحث الثاني: الصورة الاستعارية	١٢٣-١٢٧

المبحث الثالث: الصورة الكنائية	١٢٨-١٣٢
الخاتمة والنتائج.	١٣٣-١٣٥
المصادر والمراجع.	١٣٦-١٤٩
الملخص باللغة الإنكليزية	a-b

المقدمة

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم).

على الرغم من الجهود التي بذلها الباحثون في مجال دراسة الأدب الأندلسي عبر ثمانية قرون، فإن عصر بني الأحمر يُعد آخر معقل للمسلمين في الأندلس بعد أن سقطت مدنهم بيد النصارى في ما يعرف بحرب (الاسترداد).

وقد شهد هذا العصر ازدهاراً وتقدماً ملحوظاً فكثر الشعراء والعلماء والكتاب والأدباء، والفضل في ذلك يعود الى أمراء وسلاطين بني الأحمر الذين كان لهم الفضل الكبير في إزدهار الحركة العلمية والثقافية من خلال ما أولوه من رعاية واهتمام للأدباء والعلماء في هذا العصر، فكانت مملكة غرناطة حاضنةً لهم مما جعله عصراً زاخراً بالعلوم والمعرفة والإنتاج الأدبي الرائد الذي عكس ثقافة هذه البلاد، وعلى الرغم من قلة الدراسات التي تناولت هذا العصر وربما يكون سبب ذلك لانه آخر عصر للمسلمين في الأندلس وقد شهد هذا العصر نهاية الدولة الإسلامية في الأندلس والتي امتدت لأكثر من ثمانية قرون كانت زاخرةً بالعلوم والفنون التي أمدت الحضارة الاسلامية بالشيء الكثير، ومن هنا كانت رغبتي في دراسة هذا العصر لعلي أسهم ولو بالقدر الأدنى في تسليط الضوء على هذا العصر وانجازاته الأدبية والفكرية والعلمية.

وعلى الرغم من الصعوبات التي تواجه طلاب العلم بصورة عامة وطلاب الدراسات العليا بصورة خاصة من قلة الدراسات التي تناولت هذا العصر، إلا أني بدأت وبعون الله جل في علاه ومساعدة بعض اساتذتي في ترسيم ما خططت له في بحثي هذا.

وقد تمثلت المرحلة الأساسية في هذا البحث بالعودة الى دواوين الشعراء في هذا العصر، والمصادر والبحوث والدراسات التي تناولت الأدب الاندلسي عامةٍ ولاسيما في هذه الحقبة محاولاً قدر الإمكان تسليط الضوء على هذا العصر ولاسيما انه غني بمضامينه الدينية، وذلك لأنه شهد سقوط آخر معقل للمسلمين العرب في الأندلس.

وقد جاء البحث بتمهيد وثلاثة فصول، تسبقها مقدمة، وتتلوها خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة ، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي أفادت منها الدراسة.

وقد درست بالتمهيد مفهوم التجلي والخطاب بصورة عامة والخطاب الديني بصورة خاصة، والجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية التي اسهمت في نشأة هذا الخطاب.

وأختص الفصل الأول بدراسة بواعث الخطاب الديني وتضمن ثلاثة مباحث، المبحث الأول: سقوط المدن الأندلسية وكيف رثى الشعراء مدنهم التي سقطت بيد الصليبيين وما كانوا يشعرون به من حزن وأسى نتيجة سقوط مدنهم الواحدة تلو الأخرى.

وفي المبحث الثاني تناولت الدعوة الى استنهاض الهمم لمقاتلة الأعداء فكلما سقطت مدينة هب الشعراء لاستنهاض الهمم وطلب النجدة للدفاع عن مدنهم.

وأختص المبحث الثالث في بيان مظاهر الآخرة (الموت، الشيب، المعاد). وما كان يشعر به هؤلاء الشعراء في آخر حياتهم وإيمانهم بالموت وأنّه آخر الحياة وتفكيرهم بالشيب الذي جعلهم يشعرون بقرب الأجل وإيمانهم بالمعاد والحياة الآخرة.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه مضامين الخطاب الديني، وقد تضمن ثلاثة مباحث، فكان المبحث الأول: بعنوان مضامين الخطاب الديني القرآني تناولت فيه ظاهرتي الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

أمَّا المبحث الثاني فكان بعنوان: مضامين الخطاب الديني النبوي وقد تناولت فيه سيرة النبي محمد (ﷺ) وكذلك سيرة الصحابة (رضي الله عنهم)، ثم تناولت بعد ذلك نسب بني الأحمر الذي يتصل بسعد بن عبادة سيد الخزرج وهو أحد أنصار الرسول (ﷺ) في المدينة.

أما المبحث الثالث: فكان بعنوان مضامين الخطاب الديني التاريخي تناولت فيه أهم الشخصيات الإسلامية وكذلك الوقائع التاريخية والاستشهاد بأبيات من العصر العباسي.

أما الفصل الثالث: فقد كان بعنوان أثر الخطاب الديني في الصورة الشعرية ومنها الصورة البيانية وقد تضمن ثلاث مباحث.

المبحث الأول: اختص بدراسة الصورة التشبيهية مع الاستشهاد ببعض الأبيات.

أما المبحث الثاني: فقد اختص بدراسة الصورة الاستعارية مع الاستشهاد ببعض الأبيات.

أما المبحث الثالث: فقد اختص بدراسة الصورة الكنائية مع الاستشهاد ببعض الأبيات.

وقد تضمن هذا المبحث أيضا خاتمة وأهم النتائج التي توصلت إليها، ثم قائمة بالمصادر والمراجع التي أفدت منها.

وفي الختام أسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وابتغاء مرضاته.

التمهيد

التمهيد

تجليات الخطاب الديني في عصر بني الأحمر

المفهوم وأحوال العصر

مفهوم تجليات الخطاب الديني

الجلو: الجيم واللام والحرف المعتل اصلُ واحدُ وقياسٌ مطرد، وهو انكشاف الشيء وبروزه[١]، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ موسَى صَعِقًا﴾[٢]،

والتجلي: ((مأخوذ من الفعل جَلَا إذ عَلَا... وَجَلا الامرُ وَجَلَّاه وجلَّى عنه كشفه وأظهره... وأمرٌ جلي: واضحٌ، ويقال اجْلُ لِي هذا الامر أي أوضِحْهُ، فالجَلاءُ ممدود: الامر البين الواضح، والجلاءُ بالفتح والمد: الامر الجلي، وتقول جَلَا لي الخبرُ أي وضح... وجلَّى الشيء أي كشفهُ... وتجلى الشيء أي تكشف))[٣]. قال تعالى: ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾[٤].

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما ((إن ربي عز وجل قد رفع لي الدنيا وأنا أنظر إليها جلِّيانا من الله أي اظهارا وكشفا، وهو بكسر الجيم وتشديد اللام))[٥]، وتستعمل بكثرة في الخطاب الصوفي للتعبير عن التجلي.

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، مادة (جلو): ٤٦٨/١.

(٢) سورة الاعراف: الاية ١٤٣.

(٣) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، مادة (جلا) : ٦٦٩/١-٦٧٠.

(٤) سورة الشمس: الاية ٣.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي، طه احمد الزاوي، المكتبة الاسلامية، ط١، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م: ٢٩١/١.

ومما تقدم نستنتج أن التجلي هو الكشف والظهور والابانة.

أما مفهوم الخطاب:

فيظن كثير من الباحثين أن الخطاب بمفهومه الحديث أُخذ مثل غيره من المصطلحات المعاصرة من الغرب غير أن مراجعة دقيقة لمصطلح الخطاب تؤكد أن هذا المصطلح له جذور عربية، وليس صحيحا نسبته إلى الغرب، فربما يكون الغربيون قد وضعوا له حدودا وأطراً جديدة كما هو الشأن في الدراسات اللغوية الحديثة، بيد أن للخطاب معان ومدلولات متعددة في المعاجم العربية.

فالخطاب في اللغة:

(مراجعة الكلام) [١]، وقال ابن فارس: ((الخاء والطاء والباء اصلان: احدهما الكلام بين اثنين، ويقال خاطبهُ يخاطبه خطابا والخُطبة من ذلك... والخطب: الأمرُ؛ وانما سمي بذلك لما يقع فيه من التخاطب والمراجعة))[٢]، ((والخطب الامر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب))[٣]، قال تعالى ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾[٤]، وقال تعالى: ﴿فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾[٥].

والخطاب: ((المواجهة بالكلام))[٦]، ((والخطبُ الشأن، والامر صغر أو عظم))[١]، ومنه يقال: ((خطب يسير وخطب جليل))[٢].

---

(١) كتاب العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال: ٢٢٢/٤.

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة (خطب): ١٩٢/٢.

(٣) المفردات في غريب القران، مادة (خطب): ٢٠٠/١.

(٤) سورة طه: الاية ٩٥.

(٥) سورة الحجر: الاية ٥٧.

(٦) اساس البلاغة، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر بن احمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مادة خطب: ٢٥٥/١.

نستنتج من خلال هذه التعاريف: ان الخطاب في اللغة هو توجيه الكلام نحو الآخرين للافهام.

والخطاب في الاصطلاح:

هو اللفظ المتواضع عليه المقصود به افهام من هو متهيء لفهمه... وبقوله لمن هو متهيء لفهمه عن الخطاب لمن لا يفهم كالنائم[٣]، ((فالخطاب أما الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه به نحو الغير للافهام))[٤]. والخطاب أما أن يكون عام أو خاص فالخطاب العام المقصود ((منه أن يخاطب به غير معين إيذانا بأن الامر لعظمته حقيق بأن لا يخاطب به أحد دون أحد))[٥].

((والخطاب يتنوع بتنوع الطرق التي يتخذها المتكلمون أو الكتاب، وذلك بحسب مواقف اجتماعية وثقافية محدودة فتنتج بذلك انواعا كثيرة من الخطابات، مثل الخطاب الديني والخطاب العلمي والخطاب السياسي...))[٦]، ((وترجع اصالة الخطاب الديني في التراث الاسلامي إلى اطلاقه في لفظ القران الكريم، فقد استعمل العلماء مصطلح الخطاب في سياق التفسير والشواهد القرانية والادلة، ويرجع هذا الاختيار إلى أن مصطلح الخطاب القرآني، خطاب الشارع الحكيم وخطاب الوحي والحديث في قول علماء أصول الدين وليشير إلى أن هذا القول موجه إلى

---

(١) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، مادة (خطب): ٤٧٨.

(٢) أساس البلاغة، مادة (خطب): ٢٥٥/١.

(٣) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٦: ٧٤٩/١.

(٤) ينظر: المصدر نفسه: ٧٤٩/١.

(٥) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب، الدار المصرية للموسوعات، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠٠٦م: ٤٧٩/٢.

(٦) المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، جدارا للكتاب العالمي، عمان- الاردن، ط١، ٢٠٠٩: ١٥.

المتهيئين لفهمه والمكلفين به، وأنه قول تفاعلي لحدث فعال، وليس نصا مدونا وثابتا فقط))[١].

لقد وردت لفظة الخطاب في القران الكريم في سياقات مختلفة منها: قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾[٣]، وقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ﴾[٤]، ((وفصل الخطاب الحكم بالبينة أو اليمين، أو الفقه في القضاء، أو النطق بأما بعد))[٥].

ومنهم من يرى أن الخطاب مصطلح لساني يشمل كل انتاج ذهني سواء كان شعرا ام نثرا، منطوقا او مكتوبا، فرديا او جماعيا، ذاتيا ام مؤسسيا في حين أن المصطلحات الاخرى تقتصر على جانب واحد فقط[٦]، لذلك فقد اخذ مفهوم الخطاب بالاتساع الى الحد الذي صار معه يشمل الرؤى والتوصيات والافكار الفردية والجمعية والتي تتجسد في التعبير الشفاهي او الكتابي او السلوك العلمي، ((ودليل ذلك انهم يقولون الخطاب السياسي العربي، والخطاب النقدي والخطاب الادبي والخطاب الديني المقصود فيه شيء اعم من قولهم: السياسة العربية او النقد العربي))[٧]، فليس المقصود بالخطاب الديني نصوص الوحي من الكتاب والسنة النبوية، ((وانما المقصود به خطاب المسلمين افرادا وجماعات الذي يمثل فهمهم

(١) تحليل الخطاب الديني في ضوء نظرية احداث اللغة دراسة تطبيقية لاساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القران الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١، ٢٠١٣: ١٧.

(٢) سورة النبأ: الاية ٣٧.

(٣) سورة الفرقان: الاية ٦٣.

(٤) سورة ص: الاية ٢٠.

(٥) القاموس المحيط، مادة (خطب): ٤٧٨.

(٦) ينظر: الخطاب الاسلامي والتنمية في المجتمع المصري، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٩: ١٨.

(٧) ينظر: مفهوم الخطاب الادبي، ابراهيم صحراوي، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، عدد٩، ١٠:١٩٩٧.

للاسلام وقراءتهم نصوصه ونطقهم افكاره ومفاهيمه وتعاليمه وآدابه واحكامه وتشريعاته))[١].

ان من سمات الخطاب عدم الثبات والتحرك تبعا لاختلاف القراءات وتنوع الافهام، وهو يتكون من جملة من النصوص والتقاليد والممارسات الاجتماعية، وهو نمط مخصوص من السلوك الكلامي الذي يعبر عن الواقع، ((فالخطاب الديني يشير الى فهم الدين في ضوء معطيات العصر بما يتضمن وجود الانسان المتصالح مع عصره، والمشارك فيه بفعالية وكفاءة ونسبته الى الدين يقصد فيه الخطاب الذي يعتمد على مرجعية دينية في مخاطبته واحكامه وبياناته))[٢].

عصر بني الاحمر الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية:

يقتضي الحديث عن الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية أن نمر على نشأة مملكة بني الأحمر التي يتصل نسب ملوكها بالصحابي الجليل (سعد بن عبادة)[٣] سيد انصار رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، وتذكر المصادر ان اسلافه هاجروا من المشرق واستقروا في بداية الفتح الاسلامي في الاندلس واستوطنوا بمدينة ارجونة[٤]، احدى حصون قرطبة[٥]، وفي ذلك يقول لسان الدين بن الخطيب: ((وجمع الله الاندلس على قوم من خيار

---

(١) مقومات النهوض الاسلامي بين الاصالة والتجديد، عامر الكفيشي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦: ١٣٥.

(٢) آليات الخطاب الديني المتجدد عبر تطبيقات الاعلام الرقمي، بوزيد فائزة، جامعة بخضير بسكرة، مجلة الخطاب والتواصل، الجزائر، العدد السابع، ٢٠٢٠: ١١٤.

(٣) سعد بن عبادة: بن دليم بن حارثة بن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، ويكنى أبا ثابت، الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م: ٥٦٦/٣.

(٤) ارجونة: مدينة أو قلعة بالاندلس اليها ينسب محمد بن يوسف بن الأحمر الأرجوني من متأخري سلاطين الاندلس، الروض المعطار في خبر الاقطار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت-لبنان، ط٢،١٩٨٠: ٢٦.

(٥) قرطبة: مدينة عظيمة بالاندلس وكانت سرير ملك بني امية، آثار البلاد واخبار العباد، زكريا بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت: ٥٥٢.

الامة ممن الجهاد شأنهم، والفلح معاشهم، والنجدة شهرتهم، والى سعد بن عبادة سيد انصار رسول الله (ﷺ) نسبهم))[١]، وفيما يتصل بتسميتهم ببني الاحمر فيقترن باسم اسرة بني الأحمر او بني نصر، تلك الدولة التي اوجدتها ظروف غير اعتيادية، وبقيت صامدة للظروف السياسية والفتن بالداخل او التيارات الحربية في الخارج قرابة قرنين من الزمن[٢] مؤسس هذه الدولة الاول (محمد بن يوسف)[٣]، الذي لقب بالاحمر نسبة الى جده عقيل[٤].

وما أن دخل ابن الاحمر غرناطة عام (٦٣٥هـ) حتى اخذ يوطن اركان دولته بضم المرية[٥] ومالقة[٦]، وعرفت مملكته بغرناطة[٧]، وكانت تقع في شبه الجزيرة الايبرية او ما يسمى الاندلس الصغرى على ضفاف البحر الابيض المتوسط[٨] وقد حكمت دولة بني الاحمر ((قرابة قرنين ونصف من الزمان وفي صددها يذكر المؤرخون ان السلاطين الذين تعاقبوا على حكم غرناطة من بني نصر يرجع نسبهم الى سعد بن عبادة الانصاري، احد صحابة رسول الله (ﷺ)، وسيد قبيلة الخزرج من الانصار بالمدينة، مما يضفي على اولئك

---

(١) اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ: ٢١.

(٢) ينظر: كناسة الدكان بعد انتقال السكان، لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر: التمهيد ١٧-١٨.

(٣) محمد بن يوسف: الغالب بالله امير المسلمين ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصاري من ولد امير الانصار سعد بن عبادة حكم غرناطة عام ٦٣٥هـ، إلى وفاته عام ٦٧١هـ: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ابن الخطيب: ٢١-٢٢.

(٤) ينظر: دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، احمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية: ٢٢٧.

(٥) المرية: بالاندلس مدينة محدثة وهي من اشهر مراسي الاندلس واعمرها ومن اجل امصارها واشهرها، الروض المعطار في خبر الاقطار: ٥١٧.

(٦) مالقة: بالاندلس مدينة على شاطئ البحر وهي عامرة آهلة كثيرة الديار، الروض المعطار في خبر الاقطار: ٥١٣.

(٧) غرناطة: مدينة بالاندلس قديمة بقرب البيرة من احسن مدن الاندلس واحصنها ومعناها رمانة بلغة الاندلسيين يشقها نهر يعرف بنهر فلوم، آثار البلاد واخبار العباد: ٥٤٤.

(٨) مملكة بني الاحمر في الاندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية ٦٥٢-٨٩٧هـ، احمد جميات، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠١١-٢٠١٢: ٢١.

السلاطين عراقة في المجد، ونسبا في التاريخ المشهور))[١] ومن الطريف أن هؤلاء الملوك قد اتخذوا من اللون الاحمر شعارا لهم في قصورهم بالحمراء واعلامهم وقبابهم وخيامهم بل وحتى في لون الورق الذي يكتبون عليه رسائلهم السلطانية[٢].

وكانت غرناطة عند فتح الاندلس مدينة صغيرة من اعمال ولاية البيرة[٣] افتتحها المسلمون عقب انتصارهم على القوط، بقيادة طارق بن زياد فاتح الاندلس في رمضان عام ٩٢هـ[٤].

نشأت غرناطة امارة صغيرة بعد الفوضى التي سادت الاندلس عقب انهيار حكم الموحدين وكانت وقتها بحاجة الى الاستقرار والتوطيد فقد واجه محمد بن يوسف في سبيل ذلك الكثير من الصعاب حيث كانت الاندلس وقتها قد مزقتها الحروب الاهلية وتحولت الى حكومات ومناطق عديدة، وكان ابن الاحمر قد حظي بتأييد جمهور كبير من الشعب الاندلسي لاسيما في الجنوب، ولم يكن ما يمنع من التفاف الامة الاندلسية كلها حول لواء هذا القائد المنقذ[٥].

وقد حكم هذا السلطان محمد بن يوسف مدة طويلة (ت ٦٣٥-٦٧١هـ) وكان يلقب بالشيخ وبأمير المسلمين[٦]، وقلعة مدينة غرناطة، هي مقر الحكم والسلطان وتعرف بالحمراء وهو اسم قديم ذكر أَول مرة في ايام ثورة المولدين التي قام بها عمر بن حفصون في القرن الثالث الهجري، وواضح ان هذا الاسم راجع الى لون تربة الهضاب التي بنيت عليها، والتي سميت بالسبيكة لهذا السبب وفي ذلك يقول ابن مالك الرعيني الغرناطي:

الطويل

---

(١) كناسة الدكان بعد انتقال السكان: ١٨.

(٢) دراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ٢٢٧.

(٣) البيرة: وهي كورة كبيرة من الاندلس ومدينة متصلة بأراضي كورة قبرة، بين القبلة والشرق من قرطبة، معجم البلدان، شهاب االدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت- لبنان، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م: ٢٤٤/١.

(٤) نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان، العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الاندلس، ط١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م: ٢١.

(٥) ينظر: نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين: ٤١.

(٦) دراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ٢٢٨.

تـرى الأرض منهـا فضــة فـإذا اكتسـت بشمس الضـحى عـادت سبيكتها ذهب[١]

ومن هذا نرى انه ليس هناك ثمة علاقة بين اسم الحمراء واسم بني الاحمر الذين حكموها بعد ذلك، فتشابه الاسمين هو محض مصادفة[٢].

لم يكن الحفاظ على اخر قلاع العرب المسلمين في الاندلس امرا هينا وقضية يسيرة، إذ خاض محمد بن يوسف بن الاحمر سلسلة من المعارك التي انتصر في اغلبها، "ونهج هذا الامير نهج السلف الصالح في ادارة مملكته، وكان يباشر الامور بنفسه ويدقق في جميع الاموال والجبايات حتى امتلأت خزائنه بالمال و... منذ ان استولى محمد بن يوسف على سدة الحكم اخذ يعمل على صون مملكته سواء بالدفاع عنها بقوة السلاح وبالجيش الذي اعده لاخماد الفتن بالداخل او رد هجمات اعداء المملكة الطبيعيين ام بالمعاهدات التي اضطر الى عقدها مع خصومه... ففي مدة حكمه الذي دام ما يقرب من اربعين سنة لم تهدأ له ثائرة... وكان في حرب دائمة مع الاسبان... ورأى الشعب الاندلسي فيه الزعيم المنقذ فالتفوا حوله وانضموا تحت لوائه، ورأى الاسبانيون بعد أن اطاحوا بكثير من امراء الاندلس واستولوا على الكثير من الممالك والحصون، انه لم يبق امامهم غير هذا الزعيم الذي اخذ نفوذه يتزايد على الرغم من انضواء الكثير من الامراء تحت رايتهم[٣]، ((ويلاحظ ان موجات الهجرة الداخلية من بلاد الاندلس المتاخمة قد بدأت تتزايد على مملكة غرناطة كلما سقطت في يد الاسبان مدينة من المدن المسلمة، سواء الشرقية منها او الوسطى، لاسيما المسلمين الذين فضلوا الهجرة الى المدن الاسلامية على الخضوع للنصارى وقبول التدجين ... بيد أن هذا لا ينفي ان بعض هؤلاء المغلوبين على امرهم قد اقعدتهم مصالحهم وظروفهم حيث كان مقامهم الاصلي تحت سيادة الاسبان، أولئك الذين عرفوا في التاريخ الاندلسي باسم المدجنين))[٤].

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب المقري (ت ١٠٤١هـ): ١٧٧/١.

(٢) دراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ٢٢٦.

(٣) ينظر: في الربوع الاندلسية، سامي الكيالي، مكتبة الشرق، حلب– سوريا، ١٩٦٣: ٢٦.

(٤) كناسة الدكان بعد انتقال السكان: ١٧.

وللوقوف على صور الخطاب الديني في الشعر الاندلسي لعصر بني الاحمر ينبغي اولا الوقوف على الجوانب التي شكلت هذا الخطاب والروافد التي اثرت فيه والتي تقف السياسة والظروف الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والفكرية والدينية في مقدمتها.

١- الجانب السياسي:

وقد ولدت مملكة بني الاحمر وسط ظروف سياسية صعبة من ضعف وفتن داخلية وتحديات خارجية، كانت نتيجتها ان سيطر النصارى على عدد من المدن الاندلسية، ووسط هذا الجو المشحون بالفتن والانكسارات اتبع محمد بن يوسف سياسة اتبعها ملوك بني الاحمر فيما بعد وتمثلت في عدم الاعتماد على اخوانهم بالمغرب، فقد فاوض الاسبان، وحاول استعادة ثغر طريف[١] من بني مرين فعسكر في قواته في مالقة[٢]، كانت سياسة بني الاحمر تعتمد على المهادنة تارة، والدخول في المعارك الطاحنة تارة اخرى مع النصارى[٣]، لتنعم بعدها غرناطة ببعض الاستقرار لاعتمادها على سياسة القوة والهدنة، ومراعاتها للواقع، وحسن ادارتها السياسية، ففي عام ٦٤٣هـ-١٢٤٦م عقد ابن الاحمر صلحا مع فرناندو الثالث ملك قشتالة[٤]، وخلاصته ان يتوقف القتال لمدة عشرين سنة وأن يتخلى ابن الاحمر عن مدينتي ارخونة وجيان والحصون المجاورة، ويخضع ابن الاحمر لسلطان ملك قشتالة ويؤدي له مائة وخمسين الف ذهبية ويعينه على اعدائه، ويحضر اجتماع البلاط مرة في العام[٥].

---

(١) طريف: جزيرة على البحر الشامي في اول المجاز يتصل غربيها ببحر الظلمة، الروض المعطار في خبر الاقطار: ٣٩٢.

(٢) ينظر: تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت ٨٠٨هـ): ٢١١/٧.

(٣) ينظر: صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط: ٢٦٥/٥.

(٤) النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة ٦٣٥-٨٩٧هـ، زمان عبيد وناس، دار الرضوان للنشر، مؤسسة دار الصادق للثقافة، عمان، ٢٠١٢: ٢٦.

(٥) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م: ٢١.

والغرض من هذه الهدنة هو المحافظة على ما تبقى من الوجود العربي في شبه الجزيرة الايبرية، وكذلك ليوطد ابن الاحمر دعائم دولته حتى تصبح فيما بعد قادرة على مجابهة الممالك الاسبانية[١]، وخلال سنوات الهدنة استطاع محمد الاول ان ينظم شؤون مملكته الفتية ليوطد دعائمها فراقب مداخيل المال وقضى على الفساد، وقضت سياسته الخارجية أن يتعاون مع القشتاليين، وحافظ كذلك على صداقاته مع ملوك المغرب، وعند حصار القشتاليون اشبيلية سنة ٦٤٦هـ-١٢٤٨م اضطر ابن الاحمر ان يساعد فرديناندو الثالث ضد ابناء جنسه ودينه والذين استماتوا في الدفاع عن مدينتهم التي سقطت بعد حصار استمر ستة اشهر، ومن اجل الحفاظ على رضى رعيته فقد اعلن ابن الاحمر مبايعته للخليفة العباسي في بغداد المستنصر بالله[٢]، عمرت مملكة غرناطة برغم الصعوبات العديدة في الداخل والخارج- ما يزيد على القرنين ونصف توالى حكمها خلال تلك المدة اكثر من عشرين حاكما (سلطانا) تمتع العديد منهم بصفات ممتازة[٣]، تراوحت فترات حكمهم ما بين الطويلة او المتوسطة او القصيرة، عرفت الاندلس خلال بعضها قوة وازدهارا بمختلف المجالات وفي البعض الاخر ضعفا وهوانا وانحطاطا كبيرا[٤]، واتسم نظام حكمهم بالانتقال الوراثي مما اضفى على هؤلاء مبدأ الملكية المتوارثة[٥].

وفي هذه الاثناء استقرت مملكة غرناطة وقويت دعائمها الى حد كبير وقد توالى على حكمها العديد من السلاطين كان اولهم ومؤسس دولتهم هو:

١. الغالب بالله امير المسلمين ابو عبد الله محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن خميس بن نصر بن قيس الخزرجي الانصاري (ت ٦٧١هـ).
٢. محمد الثاني الفقيه (ت ٧٠١هـ).
٣. محمد الثالث المخلوع خلع ٧٠٨هـ، (ت ٧١١هـ).

---

(١) النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة: ٢٧.

(٢) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ٢٢.

(٣) نهاية الوجود العربي في الاندلس، علي حسين الشطشاط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة: ٤٩.

(٤) الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، بوحسون عبد القادر، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣: ٣٠.

(٥) كناسة الدكان بعد انتقال السكان: ١٩.

٤. ابو الجيوش نصر بن محمد (ت ٧١٣هـ).

٥. ابو الوليد اسماعيل بن فرج بن اسماعيل النصري (ت ٧٢٥هـ).

٦. محمد بن اسماعيل بن فرج النصري (ت ٧٣٤هـ).

٧. ابو الحجاج يوسف الاول، يوسف بن اسماعيل بن فرج (ت ٧٥٥هـ).

٨. محمد الخامس الغني بالله محمد بن يوسف الخامس امارته الاولى (٧٦٠هـ).

٩. اسماعيل الثاني (٧٦١هـ).

١٠. محمد الخامس الغني بالله محمد بن يوسف الخامس امارته الثانية (٧٦٤هـ).

١١. ابو الحجاج يوسف بن محمد الخامس (ت ٧٩٥هـ).

١٢. محمد السادس الغني بالله محمد بن يوسف الثاني (٨١٠هـ).

١٣. يوسف الثالث (ت ٨٢٠هـ).

١٤. محمد السابع ابو عبد الله محمد بن يوسف الثالث (ت ٨٥٨هـ).

١٥. سعد بن اسماعيل النصري (ت ٨٦٨هـ).

١٦. ابو الحسن علي بن سعد بن اسماعيل النصري (٨٨٧هـ).

١٧. ابو عبد الله محمد (ت ٨٨٨هـ).

١٨. ابو الحسن علي امارته الثانية (٨٩٠هـ).

١٩. ابو عبد الله الزغل (٨٩٢هـ).

٢٠. ابو عبد الله محمد امارته الثانية (٨٩٧هـ)[١].

---

(١) ينظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية ٢١-٢٢؛ وينظر: الاحاطة في اخبار غرناطة: ١/٤١-٤٢؛ وينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ١٩-٥١.

ومن خلال هذا العرض لابرز حكام بني الاحمر يتضح لنا ان الكثير منهم كان لهم الدور الكبير في مقارعة النصارى والابقاء على الوجود العربي الاسلامي في شبه الجزيرة الايبرية، في حين ان البعض منهم قد تحالف معهم، ولكن على العموم فقد فعل اغلب سلاطين بني الاحمر ما في وسعهم لبقاء الاندلس تحت حكم دولتهم على الرغم من الصعوبات الجمة التي لاقوها لذلك حرص اغلب سلاطين بني الاحمر على اقامة علاقات سياسية بالدول الاسلامية المجاورة ولاسيما دول المغرب العربي الاسلامي الثلاث: المرينية والزيانية والحفصية وكذلك دولة المماليك في المشرق وحتى مع الدولة العثمانية(١)، وبالرغم الفترة الطويلة التي قضاها العرب المسلمين في بلاد الاندلس الا أن الاسبان استطاعوا اخراجهم منها، وذلك بسقوط اخر معقل لهم، مدينة غرناطة على ايدي جيوش قشتالة عام ٨٩٧هـ-١٤٩٢م...(٢)، وكان من غرائب القدر ان هذه المملكة الاسلامية الصغيرة، استطاعت أن تعيد لمحة من مجد الاندلس الذاهب، كما استطاعت بكثير من الشجاعة والجلد، أن تسهر على تراث الاسلام في الاندلس، زهاء مائتين وخمسين عاما(٣).

٢- الجانب الاجتماعي:

خير من وصف الحياة الاجتماعية لمجتمع غرناطة من عامة الشعب لسان الدين بن الخطيب إذ يصفهم انهم ((امتازوا بطاعتهم للامراء... وصورهم حسنة، معتدلة انوفهم، بيض الوانهم، مسودة -غالبا- شعورهم، متوسطة قدودهم... حريمهم حريم جميل موصوف باعتدال السِمَن، وتنعم الجسوم واسترسال الشعور ونقاء الثغور وطيب الشذا وخفة الحركات ونبل الكلام وحسن المحاورة، الا ان الطول يندر فيهن، وقد بلغن من التفنن في الزينة لهذا العهد، والمظاهرة بالمصبغات وتنافسهن في المذهبات والديباجات والتماجن في اشكال الحلي لغاية بعيدة))(٤)، وكان المجتمع الاندلسي مؤلف من عناصر متعددة اهمها العرب والبربر والمسالمة والمولدون والمستعربون واليهود والصقالبة، وبمرور السنين بات من الصعب

---

(١) الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة ثقافية تاريخية ٦٣٥-٨٩٧هـ: ٣٩.

(٢) نهاية الوجود العربي في الاندلس: ٧.

(٣) نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط٣، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م: ٥٤.

(٤) ينظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٢٧-٢٩.

التمييز بين هذه العناصر[١]، ((والعمائم تقل في زي اهل هذه الحضرة الا ما شذ في شيوخهم وقضاتهم وعلمائهم والجند الغربي منهم))[٢]، وكان الاندلسيون يعتزون باصالة النسب، لذا حرص الكثير منهم على ربط نسبهم بأرومات عربية عريقة، فبنوا نصر اصحاب الحمراء جعلوا همهم اقناع اتباعهم وتذكيرهم بانتمائهم الى سعد بن عبادة احد زعماء الانصار[٣].

والغالب عليهم ترك العمائم، لاسيما في شرق الاندلس، اما اهل غربها فلا تكاد ترى فيهم قاضيا ولا فقيها مشارا اليه الا وهو بعمامة[٤]، واهل الاندلس اشد خلق الله اعتناء بنظافة ما يلبسون وما يفرشون... وفيهم من لا يكون عنده الا ما يقوته يومه، فيطويه صائما ليبتاع صابونا يغسل به ثيابه... وهم اهل احتياط وتدبر في المعاش وحفظ ما في ايديهم خوفا من ذل السؤال لذلك فقط ينسبون للبخل[٥]، قوتهم الغالب البر الطيب، وربما اقتات في فصل الشتاء الضعفة والفعلة الذرة العذبة... فواكههم رغدة، والعنب بحر لا نافة الكثرة والوفرة... يدخرون العنب سليما من الفساد الى ثلثي العام[٦]، ولاشك في ان غالبية سكان مملكة بني الاحمر كانت من المسلمين لذلك يصعب على الباحث تحديد المناطق التي قدموا منها... كما ان المسلمين من سكان الاندلس لم يستقروا في بقعة واحدة طوال القرون الثمانية اذ تكاثرت الهجرات الداخلية لاسباب عديدة اهمها النزوحات القسرية عن المدن والمناطق التي وقعت بأيدي النصارى[٧]، اما النصارى فقد كان ((لهم دور بارز في حقل التجارة على الرغم من قلة عددهم، والتجار النصارى استقروا في المناطق الحدودية))[٨] وهكذا نجد ان النصارى كان لهم حضور بارز في العالم الاسلامي على عهد بني الاحمر.

وقد حظى الجميع بحقوق متساوية في المجتمع الاندلسي ايام بني الاحمر، فاليهود مثلا تمتعوا بفضل رعاية الحكام لشؤونهم وتأمين مصالحهم، وقد جعل بنو نصر عليهم عينا

---

(١) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ٨٩.

(٢) اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٢٨.

(٣) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ٩١.

(٤) ينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٢٢٢/١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٢٣/١.

(٦) اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٢٨.

(٧) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ٨٩.

(٨) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ٩٣.

ساهرة حالت دون قيامهم بأية انتفاضة معادية وعوملوا كسائر اهل الكتاب والذميين الذين امن الاسلام حمايتهم[١]، ((واخذ يهود الذمة بالتزام سمة تشهرهم وشارة تميزهم ليوفوا حقهم من المعاملة التي امر بها الشارع))[٢]، ولا سبيل ليهودي ان يتعمم البتة[٣]، ومن صور تنوع المجتمع ايام بني الاحمر انه كان مكونا من الاحرار والعبيد، وقد اوجدت الزراعة فئة الملاكين الغنية القابضة على زمام الاقتصاد وفئة الفلاحين التابعين للاراضي التي يعملون فيها، وكان هناك ايضا التجار الذين جمعوا الاموال واقتنوا المنازل الفخمة، وارتفعوا عن العامة، وألفوا مع كبار الملاكين طبقة اعيان المملكة المتقدمة نفوذا ومكانة[٤].

اما الطبقة العامة فقد تألفت من الحرفيين والعمال والأجراء والعاطلين عن العمل والعبيد، وهي القسم الاكبر من السكان، ولم تكن حالة ابناء العامة مرضية على الاجمال، وان لم تصل حد الزراية[٥] فقد قنعوا بجبة من الصوف او القطن في المدن، او شاية بسيطة من الصوف الخشن في الريف[٦]، أما الفلاحون فلم يكن لهم دور بارز في الحياة السياسية[٧].

كان هذا عرض للمجتمع النصري بمختلف فئاته.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه: ٩٧-٩٨.

(٢) ينظر: المصدر نفسه: ٩٨.

(٣) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٢٢٣/١.

(٤) غرناطة في ظل بني الاحمر: ١٠٠.

(٥) المصدر نفسه: ١٠٠.

(٦) مظاهر الحضارة في الاندلس، في عصر بني الاحمر، احمد محمد الطوخي، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٩٧: ٧٥.

(٧) غرناطة في ظل بني الاحمر: ١٠١.

٣- الجانب العلمي والثقافي:

لقد عرفت دولة بني الاحمر خصوصا والاندلس عموما تفوقا علميا واضحا وذلك لحرص سكانها على التميز في هذا الجانب وتعظيمهم لشأن العلماء، ((فهم احرص الناس على التميز فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد نفسه أن يتميز بصنعة ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس))[١]، فشهدت دولة بني الاحمر لونا من الازدهار العلمي، لأن القائمين على هذه الدولة كانوا شديدي الاهتمام والعناية بهذا الجانب، مثل محمد بن يوسف بن نصر الملقب بالغالب بالله (٦٧١هـ) الذي عرف عنه انه ((كان يعقد للناس مجلسا عاما يومين من كل اسبوع ترتفع اليه الظلامات ويشافه طلاب الحاجات، وينشدهُ الشعراء، وتدخل اليه الوفود ويشاور ارباب النصح، في مجلس يحضره اعيان الحضرة وقضاة الجماعة وأُلو الرتب النبيهة يفتتح بقراءة احاديث الصحيحين ويختم بأعشار من القرآن))[٢]، فهذه بعض سيرة اول سلاطين بني الاحمر، وهي تدل على الاهتمام بالجانب العلمي والشأن الثقافي، وقد تواصل هذا الاهتمام بعد وفاة محمد بن يوسف ليتولى وزيره وولي عهده محمد بن محمد بن يوسف (٧٠١هـ) ((قام بالامر بعد ابيه وباشره مباشرة الوزير ايام حياته فجرى على سنن من اصطناع اجناسه ومداراة عدوه واجراء صدقاته، وأربي عليه بخلال: منها براعة الخط وحسن التوقيع وايثار العلماء من الاطباء والمنجمين والحكماء والكتاب والشعراء، وقرض الابيات من الشعر وكثرة الملح وحرارة النادرة))[٣].

وقد أسهمت الرحلات الاندلسية في نقل الحضارة الاندلسية خارج الاندلس وأن كانت بعض هذه الهجرات اضطرارية لجأ اليها الاندلسيون مكرهين ومرغمين بسبب الظروف التي آلت اليها اوضاع الاندلس فأن بعض الرحلات كانت اختيارية هدفها الأساس طلب العلم والاجازة وحج بيت الله[٤].

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ١/٢٢٠.

(٢) اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٣١-٣٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨.

(٤) الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية: ٢٣٨.

كما ان العلاقة السياسية بين دولة بني الاحمر والمشرق العربي كانت قوية ومتينة ولا عجب في ذلك لاحتواء بلاد المشرق على الاماكن المقدسة عند المسلمين ((مكة، والمدينة، وبيت المقدس))، وكذلك لكون الحج ركن اساس من اركان الدين وهو فريضة على من استطاع اليه سبيلا، مما جعل الرحلة نحو المشرق لا تنقطع، وهذه الرحلة اسهمت بدور كبير في تمتين الصلات بين المشرق والمغرب[١]، ولم يكن لأهل الاندلس مدارس خاصة يتعلمون فيها وانما كان جل تعليمهم في المساجد... وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء الا الفلسفة والتنجيم، فأن لهما حظا عظيما عند خواصهم... والشعر عندهم له حظ عظيم وللشعراء من ملوكهم وجاهة ومكانة ولهم عليهم وظائف، والمجيدون منهم ينشدون في مجالس عظماء ملوكهم، ويوقع لهم بالصلات على اقدارهم[٢]، فلا يكاد بلد منهم يخلو من كاتب ماهر وشاعر قاهر[٣]، الامر الذي جعل اهل الاندلس يتنافسون في ذلك، حتى قيل: ((الاندلس عراق المغرب عزة انساب، ورقة آداب، واشتغالا بفنون العلوم، وافتنانا في المنثور والمنظوم))[٤].

وقد سايرت الحركة العلمية والثقافية الحضارة الاندلسية في عهد بني الاحمر، وما العدد الكبير من الادباء والمفكرين الذين برزوا في هذا العصر الا دليل على ذلك ومنهم: ابن الابار ٦٥٨هـ[٥]، ابراهيم الطويجن ٧٤٧هـ[٦]، ابن الجياب ٧٤٩هـ[١]،

---

(١) الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية: ٢٥٣.

(٢) ينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ١/٢٢٠-٢٢٢.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ٣/١٥٥.

(٥) ابن الابار: ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن ابي بكر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن احمد بن ابيبكر القضاعي كاتب واديب اندلسي من اهل بلنسية رحل عنها عندما احتلها الافرنج واستقر بتونس من توليفة: التكملة لكتاب الصلة، والحلة السراء: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: احمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م: ٣/٢٨٣.

(٦) ابراهيم الطويجن: ابراهيم بن محمد بن ابراهيم الانصاري الساحلي الشهير بالطويجن من غرناطة: الاحاطة في اخبار غرناطة: ١/٣٢٩.

ابن الحاج النميري ٧٦٨هـ[٢]، ابن الخطيب ٧٧٦هـ[٣]، ابن زمرك ٧٩٥هـ[٤]، ابن فركون ٨٢٠هـ[٥]، فضلا عن غيرهم من الذين اسهموا في عملية الابداع والبناء وكان هذا العصر امتدادا لما سبقه من العصور.

٤- الجانب الديني:

يسهم الجانب الديني بتشكيل الفكر الانساني على نحو كبير، ويتأثر الشعراء بهذه الاديان، معتقداتها وشرائحها وقيمتها[٦]، لذا فأن الاسلام فرض تأثيره في الادب العربي شعره ونثره، وشكلت احكامه حيزا مهما من تكوين العقل العربي، لاسيما العقل الاندلسي الذي كان اغلبه محبا للدين، راغبا في احكامه، منقادا لتعاليمه، وقد أثبت هذا الحكم اغلب دارسي الادب الاندلسي فشعب الاندلس ((شعب متدين المتفلتون فيه من ريقة الايمان قلة، وهم لتدينهم يجلون علماء الدين ويحترمونهم ويعظمون الفقهاء ويوقروهم، فهم اذا ارادوا تفخيم

---

(١) ابن الجياب: ابو الحسن علي بن محمد بن سليمان بن حسن الانصاري شاعر واديب ووزير غرناطي من شيوخ لسان الدين له الكثير من الشعر والنثر جمع اغلبه تلميذه لسان الدين: الاحاطة في اخبار غرناطة: ١٢٥/٤.

(٢) ابن الحاج النميري: ابراهيم بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن اسد بن موسى بن ابراهيم بن عبد العزيز بن اسد بن قاسم النميري: الاحاطة في اخبار غرناطة: ٣٤٢/١.

(٣) ابن الخطيب: ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن علي بن احمد السلماني قرطبي الاصل ثم لوشي ولقب بألقاب مشرقية بلسان الدين: ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، شهاب الدين احمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الابياري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م: ١٨٦/١.

(٤) ابن زمرك: محمد بن يوسف بن محمد بن احمد بن محمد بن يوسف بن محمد الصريحي يكنى ابا عبد الله ويعرف بابن زمرك من شرق الاندلس وسكن سلفه ربض البيازين من غرناطة: الاحاطة في اخبار غرناطة: ٣٠٠/٢.

(٥) ابن فركون: ابو الحسن احمد بن سليمان بن احمد بن محمد بن محمد القريشي كان شعلة من شعل الذكاء نظم الشعر صغيرا: الاحاطة في اخبار غرناطة: ٢٢٠/١.

(٦) الاسس الجمالية في النقد الادبي، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢: ١٥٧.

امير عظيم من امرائهم لقبوه الفقيه))[١]، ومن جانب اخر صار الادب الاندلسي ايضا يتنفس في جو من التشبع الديني، وهو ما يظهر في اشعار الزهاد والاتقياء[٢]، وقد امتد هذا التأثير الى سلاطين بني الاحمر مثل محمد الثاني الذي لقب بالفقيه ٧٠١هـ ((لعلمه وفضله وايثاره للعلماء ويعد هذا السلطان هو الذي مهد الدولة النصرية ووضع القاب خدمتها))[٣]، وثمة سلاطين اخرين يميلون الى التقشف والزهد، اذ اطالت المدونات الاندلسية في وصف محمد بن يوسف الغالب بالله ٦٧١هـ ساعة دخوله غرناطة ((فدخلها في اواخر رمضان ٦٣٥هـ- ابريل ١٢٣٨م؛ في ثياب التقشف ومظاهر الزهد والتواضع))[٤]، ((وكان يخصف النعل، ويلبس الخشن، ويؤثر البداوة، ويستشعر الجد في اموره))[٥]. تظاهر اول امره بطاعة الملوك بالعدوة وافريقية، فخطب لهم زمنا يسيرا، وتواصل بسبب ذلك منهم بالمال والاعانة، ولقبل ما افتتح امره بالدعاء للمستنصر العباسي في بغداد حاذيا حذو سميه ابن هود[٦].

وقد غشي التدين الاندلسي في عصر بني الاحمر التصوف، ولبس لباس الزهد غير ((أن التصوف الذي امتاز به سلاطين بني الاحمر كان تصوفا سلوكيا لم يدخل فيه شيء من الفلسفة التي اشتهر به تصوف الاندلس عند بعض اشياعه كابن عربي[٧]، والششتري[٨]، بل يميل الى زهد الصحابة في عهود الاسلام الاولى، وذلك تثبيتا لاصولهم العربية التي

---

(١) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ٢٠٠٨: ٧٣.

(٢) دراسات في الادب الاندلسي، احسان عباس: ١٠.

(٣) دراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ٢٢٨.

(٤) كناسة الركان بعد انتقال السكان: ١٩.

(٥) الاحاطة في اخبار غرناطة: ٢/٩٤.

(٦) ينظر: اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٣١.

(٧) ابن عربي: محي الدين بن عربي محمد بن علي بن محمد بن احمد بن عبد الله الصوفي الفقيه ولد بمرسية عام ٥٦٠هـ وتوفي بدمشق عام ٦٣٨هـ، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٢/١٦١.

(٨) الششتري: ابو الحسن علي بن عبد الله النميري الششتري الاندلسي (ت ٦٦٨هـ) درس علوم القران والحديث والفقه والاصول عرف بمسالك الصوفية له كتاب العروة الوثقى في بيان السنن واحصاء العلوم، الاحاطة في اخبار غرناطة: ٤/٢٠٥.

تعود الى سعد بن عبادة))[1]، والواقع ان ذلك المجتمع لم تفتر في صدور ابنائه حرارة الايمان ولا ضعفت عندهم روح التقوى ولم يتخلوا عن الله لحظة ولاسيما في اوقات الشدة وعند مداهمة الخطر من الدول المجاورة[2]، ان الجو الذي عاشه هؤلاء قد تمكن في نفوسهم، مما دفعهم الى الابتعاد عن الدنيا وملاذها الزائل، فاكثروا من تأنيب من يقبل عليها، واتخذت اشعارهم طابع التحذير من خلال الترغيب تارة والترهيب تارة اخرى[3]، وشهد المجتمع حركة زهد قويت في اوساط العامة والخاصة، فكثر الزهاد والنساك والمتصوفون[4]، كما ان المجتمع الغرناطي شهد حركة زهد وتصوف، نتيجة لحروب بني الاحمر ضد الخطر المسيحي، فبسبب المضايقات المستمرة للعدو المسيحي ولما كان ينتاب اهل غرناطة من قلق وحسرة مريرة لسقوط اراضي المسلمين تباعا في ايدي الممالك المسيحية المجاورة؛ لذا وجد بعض الناس في التصوف ملاذا وسلوة للهروب من تلك الحياة القاسية التي يعيشوها[5].

(١) اثر التصوف في الشعر الاندلسي في عصر بني الاحمر، فاطمة ابراهيم عبد الفتاح محيسن، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠١٠: ١٧.

(٢) غرناطة في ظل بني الاحمر: ١٣١.

(٣) الحركة الشعرية في الاندلس (عصر بني الاحمر)، ايمن يوسف ابراهيم جرار، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، فلسطين، ٢٠٠٧: ١٤٢.

(٤) ينظر: غرناطة في ظل بني الاحمر: ١٣١.

(٥) ينظر: اثر التصوف في الشعر الاندلسي في عصر بني الاحمر: ١٩.

الفصل الأول

بواعث الخطاب الديني

المبحث الأول

سقوط المدن

المبحث الثاني

الدعوة إلى استنهاض الهمم لمقاتلة الأعداء

المبحث الثالث

مظاهر الآخرة (الموت، الشيب، المعاد)

الفصل الأول

بواعث الخطاب الديني

توطئة:

العرب أمة لها سيرة محمودة، منها الفصاحة والبيان والدفاع عن نفسها بالسيف والسنان، فهما حجر الزاوية في التكوين العربي والركن الشديد، وإذا ما اشتدت الخطوب وتبارت الامم فهذا النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: ((ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم))[1]، فالشعر هوية هذه الامة، وسلاحها الماضي فلطالما استعان به الشعراء متخذين منه سيفا يسلونه بوجه خصومهم دفاعا عن دينهم، لاسيما في زمن الشدائد والتحديات الكبيرة التي تستنفر فيها الاسلحة المادية والمعنوية، الفعلية والقولية، مثلما فعل النبي (صلى الله عليه وسلم) في معاركه مع المشركين متخذا من شعر حسان بن ثابت وغيره وسائل إعلامية مهمتها قيادة المعركة الدعائية والاعلامية، وهي معركة لا تقل عن المقارعة المباشرة في ساحات الوغى.

وقد عصفت بالأمة الإسلامية ويلات ونكبات، وانتصارات، ومسرات، فكان الشعر حاضرا في هذه الظروف كلها، معبرا عن ضمير الشعوب، فلما تقلبت الاحوال بالمسلمين تقلبا كبيرا في القرون الثمانية التي عاشوها في الاندلس فاستدعت هذه الظروف مواجع الشعراء وفتحت قرائحهم وهزت كيانهم، ورافق ذلك تشجيع الملوك والامراء الاندلسيين و((كان معظم هؤلاء إما أدباء او محبين للأدب))[2]، لاسيما في اخر عهود المسلمين في الاندلس عهد بني الاحمر الذين عرفوا بميلهم الى الشعر والشعراء في كثير من المواقف، فغالبا ما

---

(١) كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر بن سيد عبد الله بن احمد الجكني الشنفيطي (ت ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، كتاب المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، باب رجاله ستة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م: ٢٠٨/٧.

(٢) قراءات في الشعر الاندلسي، صلاح جرار، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن، د.ت: ٤٨.

كان الشعراء يصاحبون الجيش في الحملات العسكرية، وايضا جعلوا الشعراء سفراء وندماء وربما وزراء كابن الخطيب وابن زمرك[١].

فلم تخل بلاطات الخلفاء والملوك من الشعراء، إذ جعلوهم المدافعين عن سياستهم الداخلية اتجاه شعوبهم، او الخارجية في مواجهة خصومهم، على النحو الذي ساد في سياسات ملوك بني الاحمر، فلقد كان للشعر مكانة لديهم، فنبغ منهم من يقرض الشعر، ودرجوا على استوزار الشعراء، فكان الوزير نديم الملك وشاعره ومدبر مملكته، فاعتز الشعراء بذلك، وسمت مكانتهم، وحفت بهم دور الامراء، ودر عليهم الرزق، كما اتفق لابن الخطيب عند بني الاحمر[٢]، ((إلا أن هذا لم يكن شأن جميع الشعراء، فقد عجز فريق منهم من التقرب من السلطان، أو الوصول إلى الوزارة، فظلوا، مغمورين خاملين))[٣]. وقد شجع هذا التصالح بين السلطة والشاعر على هجرة الكثير الى مملكة بني الاحمر، فكانت هناك هجرة اسهمت على نحو فاعل في رفد الحياة الثقافية والفكرية في تلك المدة فازدهر الشعر فكانت هذه الهجرة الغامرة من مختلف القواعد الاندلسية في الشرق والغرب، الى ذلك الوطن الاندلسي الجديد تضفي على التكوين لسكان مملكة غرناطة طابعا خاصا ((على ان الكثرة الغالبة من المسلمين في القواعد الذاهبة كانت تؤثر الالتجاء الى الاراضي الاسلامية والتشبث بلواء الدولة الاسلامية، وهكذا اخذت مملكة غرناطة، تموج منذ اواسط القرن السابع الهجري بسيول الوافدين عليها))[٤]، وقد احتضنت غرناطة هؤلاء الوافدين فهي اخر ملاذ لهم، ف بينما تأخذ المدن الاندلسية في السقوط واحدة وراء الاخرى بيد الصليبيين أدى ذلك إلى أن ينحازوا في ركن ضيق بالجنوب وهو مملكة غرناطة[٥]. وبسط الأمراء والملوك من بني الاحمر ايديهم لهؤلاء الوافدين اليهم، لاسيما الشعراء والادباء منهم[٦]، فكان شعرهم شهادة وتوثيقا للأحداث التي شهدها المسلمون من ذل وتهجير وتقتيل وتنكيل ((فأصبحت غرناطة مستودعا لتراث الاندلس القومي والسياسي والفكري، بشكل عام، ونشأت عادات اجتماعية

---

(١) قراءات في الشعر الاندلسي: ٥٠.

(٢) ينظر: في الادب الاندلسي، جودت الركابي، دار المعارف، القاهرة، ط٨: ٦٣.

(٣) المصدر نفسه: ٦٤.

(٤) نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين: ٧٠.

(٥) الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١٠، ١٩٦٠م: ٢٩١.

(٦) قضايا اندلسية، بدير متولي حميد، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤: ١٢٧.

محببة في مجتمع غرناطة، كالصدق، والعدل، والتكافل واحترام الغريب))[١]، لقد كان شعب الاندلس شعبا يقبل على العلم للعلم ذاته، فقد كان علماؤهم متقنين لفنون علومهم لانهم يسعون اليها مختارين غير مدفوعين بهدف التعلم، فقد كان الرجل ينفق كل ما عنده من مال حتى يتعلم، ومتى عرف بالعلم صار في مقام التكريم والاجلال ويشير الناس اليه بالبنان وينبه قدره ويعلو ذكره بين الخاصة والعامة[٢]. ((ويمكن القول بأن الامة الاندلسية الجديدة، كانت تمثل اطيب واثمن ما بقي من القيم الحضارية للأندلس القديمة))[٣]، وقد امطرت سحائب الوافدين سماء الادب بغيث من الشعر بما حملته عواطفهم من صور حزينة وذكرى مؤلمة، وتعد تجربتهم الشعرية من اخصب المراحل في مجال الشعر الوطني بما اشتملت عليه ((من قصائد تحريض ورثاء واستصراخ، فمع ازديادها وكثرة عدد المهاجرين، استطاع ابن الاحمر ان يؤلف جيشا كبيرا عاودهم لحلم استرداد المدن الضائعة، غير ان ذلك بقي حلما مستحيلا))[٤] وقد كست الشعر الاندلسي، لاسيما في عصر بني الاحمر ظاهرة واضحة وهي تنامي الخطاب الديني، فامتزجت اغراضهم الشعرية بهذا اللون من الخطاب فابتعد اغلب شعرائهم، وسط الظروف السياسية التي عبرت عن الواقع المرير الذي يعيشه المسلمون لتكون تربة خصبة صالحة لنمو هذا اللون من الفنون الشعرية[٥] الا هو الادب الديني او الخطاب الديني وهو ((أقدم الاداب بالنظر لفطرة الانسان على التدين بغض النظر عن حقيقة ما يدين به))[٦] فهو يمثل حاجة فطرية جبل الانسان عليها على نحو عام، فضلا عن توافر العديد من الاسباب والبواعث التي ادت الى ظهوره في البيئة الاندلسية، فربما ظهر ((كرد على حياة اللهو والمجون او لتكفير عن الذنوب في ايام الشيخوخة، فكان هذا الشعر يصدر عن فقهاء واتقياء مؤمنين، او عن ناس تاب بعضهم في اواخر ايامهم، ثم

---

(١) تاريخ المغرب والاندلس، صادق جودت، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط١، ١٩٩٧: ٢٩١.

(٢) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ٧١.

(٣) نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين: ٧٢.

(٤) اصوات الهزيمة في الشعر الاندلسي، يوسف عيد، دار الفكر، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٩٣: ١٢.

(٥) ينظر: الحركة الشعرية في الاندلس (عصر بني الاحمر)، ايمن يوسف ابراهيم جرار، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٧: ١٤١–١٤٢.

(٦) الادب الاندلسي في الموسوعات الادبية في العصر المملوكي، نضال سالم النوافعة، اطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨: ١٢٩.

تطور هذا الشعر في بقية عصور الاندلس))[١] ويرى قسم من الباحثين ان السبب الحقيقي وراء ظهور الشعر الديني يعود الى سببين:

الأول: إن الوازع الديني في الاندلس له قداسته واحترامه.

أما السبب الثاني: فيعود الى ظهور الفلسفة في المشرق فهي علة العلل، اذ اشاعت الخلاف والشكوك، وخلقت الطائفية والمذهبية، وفتحت ابواب الشر كلها بعنوان حرية الفكر والبحث والنظر، وترتب على كل هذا الانطلاق والانحراف والمجون والانغماس في الملذات، مما دفع الغيورين الى مقاومتها بمختلف صنوف المقامة التي كانت خاتمة مطافها هذا اللون من الشعر[٢] الديني الذي اثبتت جذوره الظروف الاقتصادية الصعبة، وضنك العيش، وكثرة التقلبات السياسية، فضلا عن ظهور بعض صور الفساد، فظهر هذا اللون من الشعر الديني الذي يدعو، للرضا بالقليل، والتمسك بما عند الله في الاخرة، وذم الدنيا وملذاتها، ولم يكن الهروب من صعوبات الحياة، والفشل في تحقيق الاحلام والامنيات هي الباعث الوحيد للشعر الديني في الادب الاندلسي، بل هناك دوافع ايجابية دفعت الشاعر الاندلسي الى الكتابة في هذا الغرض منها التصدي لبعض المذاهب الهدامة، والديانات الاخرى فالشعر الاندلسي الديني لم يكن كله شعرا في الزهد والتصوف، فقسم كبير منه شعر يدافع عن الدين في ظل وجود ديانات كثيرة وايديولوجيات متعددة عاشت في ظل سماحة الاسلام اثناء الحكم الاسلامي في الاندلس[٣]. وقد اسهم التوجه الديني لأكثر سلاطين بني الاحمر في تثبيت اسس الشعر الديني ايضا فمحمد الثاني لقب بـ(الفقيه)، لعلمه وفضله وايثاره للعلماء[٤]، وكان محمد الاول مشهورا بالتقشف والزهد والورع، وقد وصف في المدونات الاندلسية بأنه ((كان يخصف النعل ويلبس الخشن))[٥] وقد لقب بالشيخ وهو لقب ديني قطعا، فهذا التوجه الديني عند اغلب سلاطين وامراء بني الاحمر من الطبيعي ان يلقي بظلاله على الحياة الثقافية

---

(١) الحركة الشعرية (عصر بني الاحمر): ١٣٨.

(٢) ينظر: تاريخ الادب العربي في الاندلس، ابراهيم ابو الخشب، الفكر العربي، ط١، ١٩٦٦: ١٩٢؛ وينظر: قصة الادب في الاندلس، محمد خفاجة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٢: ٦٣.

(٣) ينظر: المناظرة في الاندلس (الاشكال والمضامين)، امنة بن منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٢: ٧٩.

(٤) دراسات في تاريخ المغرب والاندلس: ٢٢٨.

(٥) اللمحة البدرية في الدولة النصرية: ٣٠.

والادبية لهذا العصر، فنجد ان هناك بروزا واضحا للشعر الديني من بين اغراض شعرية كثيرة فالمتتبع للحياة الادبية لهذا العصر يلحظ ان الاغراض التي نظم فيها الشعراء الاندلسيين يمكن تقسيمها الى مجموعات ثلاث[1]:

أ- مجموعة الاغراض التقليدية المشهورة التي جاروا فيها شعراء المشرق وهي: الغزل، والمدح، والرثاء.

ب-مجموعة لا تخرج عن طوق الاغراض التقليدية بيد ان الشاعر الاندلسي توسع فيها لمقتضيات طبيعة الحياة والبيئة، والظروف، كشعر الحنين، وشعر وصف الطبيعة وشعر رثاء المدن، والشعر التعليمي.

ج-مجموعة الفنون الشعرية المحدثة التي لم ينسج أحد على منوالها سابقا، كالموشحات والازجال وغيرها حيث اتخذت طابعا جديدا يقف وراءه بواعث عديدة يمكن اجمالها بثلاثة بواعث رئيسة اسهمت على نحو كبير في تجلي الخطاب الديني في الشعر الاندلسي، لاسيما في مرحلة مفصلية من تاريخ الاندلس هي عصر بني الاحمر الذي استدعت الظروف التي مر بها جملة من البواعث اظهرت هذا اللون من الخطاب الديني والتي يمكن اجمالها بثلاثة بواعث رئيسة وهي:

١- سقوط المدن.

٢- استنهاض الهمم لمقاتلة الاعداء.

٣- مظاهر الاخرة كالموت والشيب والمعاد.

---

(١) ينظر: الادب العربي في الاندلس، عبد العزيز عتيق، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م: ١١٤.

المبحث الأول

سقوط المدن

الانسان العربي شديد الارتباط بأرضه ومرابع صباه، لاسيما اذا كان هذا الانسان شاعرا مرهف الحس متصل الوجدان بالمكان ولاسيما بعد فقدانه، والبيئة الاندلسية بما حباها الله من جمال طبيعي خلاب فرضت سطوتها على وجدان الشاعر وهو الذي ترعرع في كنف افيائها وجداولها وحدائقها الغناء، فكان من الطبيعي ان يشكل فقدان هذا المكان الاثير باعثا قويا من بواعث قول الشعر في ظل ظروف سياسية عصيبة جدا مرت بها الاندلس قبل واثناء قيام دولة بني الاحمر، من فتن وحروب داخلية أدت الى ضياع الكثير من المدن والحصون الاندلسية، ذلك لان الاسبان استطاعوا ان يرسموا مخططا من اجل التفرد بهذه الممالك وتم لهم ما ارادوه وكانت سياستهم تقتضي باسقاط هذه الممالك الواحدة تلو الاخرى، فتفوق العدو ووجود مثل هذه الظروف مكنته من اختيار الوقت المناسب من اجل تنفيذ مخططه باقتطاع اجزاء من الاندلس ولاسيما المناطق القريبة منهم فهي اول ما يبدأ به العدو اثناء تقدمه[1] ولهذا سقطت العديد من المدن الاندلسية، ((وكانت نتيجة هذا السقوط تشتت المسلمين وتفرقهم، وكان من الطبيعي ان يواكب الشعراء تلك الظروف، وأن يعبروا عنها من خلال اشعارهم ليظهروا حجم تلك المأساة التي اصابت اهالي تلك البلاد))[2].

كانت اول المدن الاندلسية الكبرى التي سقطت بايدي النصارى هي مدينة طليطلة[3]، سنة ٤٧٨هـ وكانت تمثل واحدة من اكبر القواعد الاسلامية بالاندلس، وقد قيل في رثائها:

---

(١) ينظر: الحركة الشعرية (عصر بني الاحمر): ٣٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣٢.

(٣) طليطلة: كانت دار الملك بالاندلس حين دخلها طارق، وهي حصينة لها اسوار حسنة قصبة حصينة، ازلية من بناء العمالقة، الروض المعطار في خبر الاقطار: ٣٩٣.

الوافر

أنـــأمن أن يحـــلَّ بنـــا انتقـــام وفينَـــا الفُســـقُ أجمـــعَ والفجـــورُ
وأكـــلٌ للحـــرامِ ولا اضـــطرار إليـــهِ فيســـهُلَ الأمـــرُ العســـيرُ[1]

فالشاعر يعللُ اسباب سقوطها لاستشراء الفسق والفجور وأكل الحرام والابتعاد عن شريعة الله، يعتمد الشاعر على قراءته الدينية فيرى ان لا عجب ان يحل بنا ما حل من سقوط المدن نتيجة لهذه المعاصي، فهذا النوع من الاستدعاء المكاني يستلزم نوعاً من الخطاب الديني ونوعاً من المراجعة للنفس ومحاسبة لها.

لقد مثل سقوط المدن وضياعها نوعا من جلد الذات، واكسب الاغراض الادبية التقليدية كالمديح والرثاء صبغة دينية، فهذان الغرضان ((في بدايتهما انصبا على مديح الاشخاص ورثاء الاحبة والاقارب، ثم انعطف مسارهما نتيجة لهذه الظروف))[2].

استمر مسلسل سقوط المدن في الاندلس فكان سقوط (قرطبة)[3] سنة ٦٣٣هـ بيد النصارى ثم (مرسية)[4] ٦٣٦هـ وحصار (إشبيلة)[5] والسيطرة عليها عام ٦٤٦هـ[6]، بعد ان سيطروا اولا على القلاع والمدن القريبة منها قبل ان يتمكن النصارى من فرض سيطرتهم التامة عليها، فكانوا في منتهى القسوة في معاملة اهلها من المسلمين وقد صور ابن سهل الاندلسي (ت٦٤٩هـ) هذه المأساة بأسلوب مفعم بالحسرة والتأسي بعد ان عمد المحتلون على تغيير عقائد الناس ومعالمهم الدينية فأبطلوا سنة النبي (ﷺ) واوقفوا العمل بالشريعة والتوحيد، وهنا تبدو المأساة الحقيقية في نظر الشاعر ابن سهل الذي شكلت له نهاية هذه الحياة الايمانية بمعالمها واستبدالها بالكفر الممتد المطامع قمة الجزع، فالقضية في نظر الشاعر

---

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٤/٤٨٤.
(٢) الحركة الشعرية في الاندلس (عصر بني الاحمر): ٣٦.
(٣) قرطبة: قاعدة الاندلس وأم مدائنها ومستقر خلافة الامويين بها، وآثارهم بها ظاهرة: الروض المعطار في خبر الاقطار: ٤٥٦.
(٤) مرسية: بالاندلس، وهي قاعدة تدمير: الروض المعطار في خبر الاقطار: ٥٣٩.
(٥) اشبيلة: مدينة قديمة ازلية يذكر اهل العلم باللسان اللطيني، ان اصل تسميتها اشبالي معناه المدينة المنبسطة: الروض المعطار في خبر الاقطار: ٥٨.
(٦) تاريخ الادب الاندلسي، محمد زكريا عناني، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م: ٢٨.

قضية عقائدية بحتة، والباعث على قول الشعر عند الشاعر هو سقوط المدينة التي شكلت بمعالمها الدينية قيمة كبيرة عنده.

الكامل

والخيـلُ تضـجر فـي المـرابط عـزة ... ألا تّجـوس حـريم رهـط الأصـفرِ
كـم نكَّـروا مِـنْ مَعلـمٍ؛ كـم دمَّـروا ... مـن معشـر، كـم غيَّـروا مـن مشـعرِ
كـم أبطلـوا سـنن النبـي وعطَّلـوا ... مـن حليـة التوحيـد صـهوة منبـرِ[1]

فالشاعر يشير الى المحتلين وتغيير عقائد الناس الدينية وابطال سنة النبي (ﷺ) وشريعة الله واستبدلها بالكفر.

ويـربط شـعر المـدن ووصـف احـوال سـقوطها بخطـاب دينـي قوامـه التضـرع الـى الله واللجـوء اليـه واخـلاص الـدعاء، وطلـب العـون منـه، فـلا ملجـأ الا بـالله فـي دفـع هـذا الخطر الداهم المتمثل بالغزو الصليبي على ما بقى من مدن الاندلس.

ويبقى الباعث الديني اقوى هذه البواعث واكثرها تأثيرا في وجدان المتلقي العربي اينما كان، وهذه القضية شكلت مادة وموردا مهما من موارد الشاعر في تلك المرحلة، فهذا عمر بن المرابط (ت٦٥٨هـ) يقول في الغرض نفسه معبرا عن ضياع المدن من خلال رموزها الدينية.

إذ يقول: الكامل

كـم جـامعٍ فيهـا أُعيـدَ كنيسـة ... فأهلَـك عليـه أسـى ولا تتجلَّـد
القـسُّ والنـاقوسُ فـوق منـاره ... والخَمـر والخنزيـر وسـطَ المسـجد
أسـفاً عليهـا أقفـرت صـلواتُها ... مـن قـانتين وراكعـين وسُـجَّد
وتعَّوضـت مـنهم بكـل معانـد ... مسـتكبر قـد كـان لـم يَتشـهَّد[2]

(١) ديوان ابن سهل الاندلسي، دراسة وتحقيق: يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م: ٣٥.

(٢) تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون ابو زيد ولي الدين الحضرمي الاشبيلي (ت ٨٠٨هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت– لبنان: ١٩٩/٧.

فالشاعر يصور تحويل المسجد الى كنيسة، وابدال الاجراس بالمآذن، ومنهم من اراد ان يعطي الصورة نوعا من المشاهد المؤثرة، والتي تدل على حجم المصاب الذي حل بالمسلمين، ويعبر عن بالغ الحزن لما جرى لهذه المساجد، ويريد من هذا ان يظهر للمسلمين مدى الحقد الذي أبداه الصليبيين نحو المسلمين في البلاد التي سيطروا عليها من خلال ادخال الخمر والخنزير اليها، لذلك نستطيع ان نقول ان الحرب التي دارت في تلك البلاد كانت حربا اساسها الدين، وخير دليل على هذا القول، ما فعله القشتاليين بالمسلمين بعد السقوط.

وقد استطاع الصليبيين اسقاط المدن الاندلسية الواحدة تلو الاخرى بأساليب وطرق مختلفة، منها ما يعتمد على الحصار او التنازل والاستسلام، او من خلال عقد المعاهدات التي تشبه الى حد كبير وثيقة الاستسلام مثلما حصل مع مدينة (شريش)[1] التي تنازل عنها العرب سنة (ت٦٦٥هـ) فرثاها ورثى الاندلس ابو البقاء الرندي في قصيدته المشهورة قائلا:

البسيط

لِكُلِ شَيءٍ إذا ما تم نقصان فلا يُغرَّ بِطيبِ العيشِ إنسانُ
هيَ الأمورُ كَما شاهدْتُها دُولٌ مَن سَرّهُ زَمنٌ ساءتْهُ أزْمانُ
وهذهِ الدارُ لا تُبقي على أحدٍ ولا يَدومُ على حالٍ لها شانُ[2]

بين الرندي في هذه القصيدة حقيقة ثابتة وهي ان كل شيء إذا ما اكتمل نموه فأنه يأخذ بالنقصان والزوال وهذا امر الله في خلقه، وعلى المرء أن لا يغتر بطيب العيش لأن مصيره الانتهاء والزوال، وفي هذا وصف لحكم المسلمين حيث اخذ حكمهم بالتناقص حينما اخذت مدنهم تسقط الواحدة تلو الاخرى بفعل الغارات التي شنها الأعداء الصليبيين.

ويسترسل ابو البقاء الرندي في الاتجاه نفسه وفي القصيدة نفسها مصورا ألمه على فقدان هذه الامكنة، لاسيما تلك التي ترتبط بأقدس وأثمن ما يمتلكه المسلمون وهي المساجد

---

(١) شريش: من كور شذونة بالاندلس، الروض المعطار في خبر الاقطار: ٣٤٠.

(٢) ديوان ابي الطيب صالح بن شريف الرندي (٦٨٤هـ-١٢٨٥م) في اعماله الادبية الشعر والنثر، تحقيق ودراسة: حياة قارة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٠: ٢٣١.

والجوامع ودور العبادة والعلم وما اتصل بها من رموز كالمحراب والقباب، وهي تتهاوى على مرأى من عيني الشاعر ويتحول قسم منها الى كنائس تعتليها الصلبان والنواقيس، وقد عمد ابو البقاء الى قافية النون المضمومة ليبث من خلالها كل وجعه وألمه ورثاءه فهي الوحيدة التي تناسب ما يحتلج صدر الشاعر من حنين وألم وفرق ووجد، فهو يصف ما حل بديار الاسلام، فقد تبدل الكفر بالايمان، وحلت الكنائس مكان المساجد حيث يقول:

البسيط

تبكـي الحَنَيفيَّـة البيضـاءُ مِـن أسـفٍ كمـا بَكـى لِفـراقِ الألـفِ هَيمـانُ
علـى ديـارِ مِـنَ الإسـلامِ خاليـةٍ قَـد أسـلمت ولهـا بـالكُفرِ عُمـرانُ
حيثُ المساجدُ قدْ صارتْ كنائسُ ما فـيهنَّ إلا نـواقيسُ وصُـلبانُ
حتـى المحاريـبُ تبكـي وهـيَ جامـدةٌ حتـى المنـابرُ ترثـي وهـيَ عِيـدانُ[1]

وقد أكثر الشاعر في رثائه للمدن من استخدام التركيب الفعلي الذي ارتكز على الفعلين الماضي والمضارع (تبكي، بكى)، (أقفرت)؛ ليدل على التجديد والتبديل في الحال، فليس هناك ما هو ثابت في هذه الحياة، وليس هناك سرور دائم، او حزن أبدي.

وواضح جدا من هذه القصيدة تجليات الخطاب الديني من خلال استعمال القاموس الديني الشرعي في التعبير عن حزنه ووجده، فأسف الشاعر ورثائه ينطلق ابتداءً من منظور اسلامي فهو لا يتأسف للمكان، لأنه مكان وحسب وانما يأسف لأن المساجد صارت كنائس، ويتألم ايضا؛ لأن الكفر استبدل بالايمان، وهو ألم مشترك شاطر الشاعر به المكان الذي بكت محاريبه مع كونها جمادات، فالمكان هنا يتجاوز مدلوله الاعتيادي بوصفه مكان الطفولة، ومربع الصبا إلى دلالات اعمق تتصل بعقيدة الانسان الاندلسي وفي هذا يلتقي الباعث النفسي بالباعث الديني في الشعر الاندلسي في عصر بني الاحمر ليشكل خطابا شعريا فريدا من نوعه تجتمع فيه بواعث القول الشعري مع الحالة النفسية للشاعر، في حين يبقى الباعث الديني اقوى هذه البواعث واكثرها تأثيرا في وجدان المتلقي العربي والمسلم اينما كان.

---

(١) ديوان ابي الطيب صالح بن شريف الرندي: ٢٣٤.

لقد مثلت غرناطة موطنا لكثير من الاندلسيين الذين فقدوا مدنهم فكتبوا بذلك شعرا يصف مشاعرهم اتجاه مدنهم التي فقدوها، ويعبر عن حنينهم الدائم اليها، فأوجدت قضية سقوط المدن وضياعها غرضا جديدا تجتمع فيه العاطفة الدينية بالحنين الى الوطن بالذكريات والماضي الجميل في حالة من اليأس والجزع وهذا ما بدا واضحا في شعر ابي بركات ابن الحاج البلفيقي (ت٧٧١هـ)[١].

إذ يقول: البسيط

قالوا تغربت عن أهل وعن وطن ... فقُلت: لم يَبقَ لي أهل ولا وطنُ
مضى الأحبة والأهلون كلهم ... وليس لي بعدهم سكنى ولا سَكنُ
أفرغتُ حزني ودمعي بعدهم فأنا ... من بعد ذلك لا دمع ولا حَزنُ[٢]

فالشاعر هنا يكرر مفردات الغربة وفقدان الاهل والساكن والمسكن وهو بذلك يؤسس لنمط شعري ينتمي الى شعر الغربة والاغتراب بفعل ضياع المدينة وفقدان المكان وهو نمط شعري نما وتوسع على يد الاندلسيين وبني الاحمر على وجه الخصوص[٣] فمعظم من رحلوا عن الاندلس، وما اكثرهم من ذوي الاقلام الشاعرة، وليس كالاغتراب يزيد من حنين الانسان الى وطنه وتعلقه به، وهذا ما حدث لهؤلاء الأندلسيين، سواء أكان اغترابهم بالانتقال لسبب او لاخر من مدينة الى مدينة بالاندلس، ((فكانوا كلما اشتدت عليهم وطأة الاغتراب ونالت من نفوسهم، فزع الشعراء منهم الى الشعر يبثون توقهم وحنينهم المشبوب الى اوطانهم واهلهم واحبابهم))[٤].

---

(١) ابي البركات البلفيقي: محمد بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن ابراهيم بن محمد بن خلف بن محمد بن سليمان بن سوار بن احمد بن حزب الله بن عامر بن سعد الخير بن عياش ويكنى ابا بركات بلفيقي الاصل مروي النشأة والولادة يعرف بابن الحاج وفي غير بلده بالبلفيقي، الاحاطة في اخبار غرناطة: ١٤٣/٤.

(٢) شعر ابي بركات بن الحاج البلفيقي (٦٨٠-٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات، ط١، ١٩٩٦: ٨٠.

(٣) ينظر: تاريخ قضاة الاندلس، النباهي ابو الحسن علي بن عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الجذامي النباهي المالقي الاندلسي (ت ٧٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥: ٢٠٥.

(٤) الأدب في الاندلس: ٢٧٣.

ومن صور مدح المدافعين عن مدينة غرناطة والمتضمن المعاني والمفردات الاسلامية كذكر معارك المسلمين الحاسمة كمعركة بدر، وأُحد، وحُنين، ومقارنتها بمعارك الاندلسيين بقيادة الشيخ ابي سعيد عثمان بن ابي العلاء الذي خاض معركة حاسمة ضد القشتاليين سنة (٧١٨هـ) للدفاع عن غرناطة فهزم النصارى من القشتاليين شر هزيمة وقتل واسر منهم العدد الكبير وخرج اهل غرناطة فرحين مسرورين، فكان لهذا الانتصار اثر كبير عند الناس والشعراء[١].

وقد وصف ابن زمرك (ت٧٩٧هـ) هذا الدفاع عن مدينة غرناطة والحيلولة دون سقوطها بقوله:

البسيط

سَـــمَّتهمُ المِلـــةُ السَّـــمحاءُ تَكرمـــةٌ أنصـــارَها وبهـــم عَـــزَّت أواليهـــا
فَفـــي حُنـــينٍ وفـــي بـــدرٍ وفـــي أُحـــدٍ تُلفـــي مَفـــاخِرهُم مَشـــهورة فيهـــا
....
عَمَّـــا قَريـــبٍ تـــرى الأعيـــادَ مُقبلَـــةً مِـــنَ الفُتُـــوحِ ووَفـــدُ النصـــر حاديهـــا[٢]

فاستدعت قضية الدفاع عن مدينة غرناطة حالة من توظيف الحوادث الاسلامية في شعر ابن زمرك، أن حوادث سقوط المدن، وانتصارها يسهم على نحو فاعل في اضفاء المسحة الدينية على الشعر، فكان الشعر في عصر بني الاحمر سجلا حافلا في تسجيل لحظات الانتصار والانكسار وهو غالبا ما يستدعي الخطاب الديني بكل تجلياته فيربطه بانتصارات المسلمين في معاركهم امام مشركي قريش، ويربطه بما في الصبر والتمحيص في لحظات الانكسار وهذا ما عمل عليه الشاعر من خلال توظيف بعض معارك الرسول(ﷺ) وربطها بمعارك المسلمين في الاندلس ضد الاعداء الصليبيين لأخذ الدروس والعبر منها.

---

(١) ينظر: نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان: ١١٨؛ وينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ١/٤٥٠.

(٢) ديوان ابن زمرك الاندلسي محمد بن يوسف الصريحي (٧٣٣-٧٩٧هـ)، حقق الديوان وقدم له ووضع فهارسه: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧: ٥٠٥.

وعندما اخذ الاسبان يعدون العدة لاستعادة بلاد اجدادهم من المسلمين وهو ما عرف بحرب الاسترداد، بدعم وتأييد من الكنيسة، فأعدوا ما استطاعوا من قوة في سبيل استرجاع اراضيهم من العرب المسلمين.

قال يوسف الثالث (٨٢٠هـ) ملك غرناطة:

الكامل

إنّ النصـــارى قـــد تجمـــع شـــملها فعســـى ببـــأس ســـيوفكم تتبـــدَّد
وتـــروعهم مـــنكم ســـيوفُ حمايـــة يجلـــو دُجاهـــا يوســـفُ ومحمـــد
أخـــوينِ قـــد قامـــا بنصـــرة دينـــه فالـــدهر يُبلـــى والثنـــاءُ يُخلـــدُ[١]

يشير الشاعر هنا إلى توحيد النصارى من اجل استرجاع اراضيهم التي اخذها العرب المسلمون ايام الفتوحات الاسلامية، ونلاحظ انه استخدم حرف التوكيد (إنّ)، ليؤكد الخبر للسامع، مما يزيد الامر يقينا في نفسه، وينتقل الانفعال على نحو أسرع وبعمق اكبر لديه، ونجد في ابيات يوسف الثالث (ت٨٢٠هـ) ما يدل على ان الشعراء قد حرصوا على اثارة المشاعر الدينية، مضمنين هذه الابيات اشارات تدل دلالة واضحة على الصراع الذي يدور بين الكفر والايمان.

إذ يقول: البسيط

معـــاذَ مـــن كتـــبَ الحســـنى لأنـــدلس مـــن أن يجـــوس عـــدو الـــدين انذُلســـاً
مُستعصـــم الـــدين مـــا كانـــت فوارسُـــه يومـــاً ليتـــرك حـــزب الكفـــرُ مفترســـاً
كـــم أثبتـــوا قـــدما كـــم جـــدَّلوا صـــنماً كـــم شـــيدوا للمعـــالي أربعـــا دُرسُـــاً[٢]

وقد وفد على غرناطة ألوف النازحين من الممالك الإسلامية التي سقطت بأيدي النصارى من أرباب العلم والحرف والصناعات، ومع تزايد هجرات المسلمين الأندلسيين الى غرناطة، فقد اصبحت المدينة مستودعا لتراث الاندلس الادبي والفكري والقومي والسياسي والحضاري.

---

(١) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث (ت ٨٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله كنون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥: ٥١-٥٢.

(٢) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث (ت ٨٢٠هـ): ١٥٤.

وقد أشار مصطفى الشكعة إلى ان من بين الخصائص التي امتاز بها شعر سقوط المدن فساد الحكام وظلمهم الناس وانانيتهم وطمعهم وتناحرهم ونشوب الحروب بينهم واهمالهم العدو المتربص بهم، والامر البالغ في الاستنكار حين يستعين الامير المسلم في حروبه مع خصومه بالصليبيين وتحالفهم معهم ضد اخوانهم المسلمين[١].

ويمكن القول ان ملوك بني الاحمر اتبعوا سياسة دفعت الكثير من الادباء والشعراء كي يهاجروا الى مملكتهم، ولهذا نستطيع ان نقول ان من اسباب الهجرة الى غرناطة وجود عامل الترغيب فالكثير من هؤلاء الشعراء والادباء استطاعوا ان ينالوا مناصب رفيعة في الدولة.

لذا يمكن القول ان شعر هؤلاء الشعراء لم يكن كله نواحا وبكاء وحسرة بل تميز شعرهم بدعوات صادقة للجهاد ورفع الهمم والمعنويات ولامست قصائدهم المشاعر الدينية عند سامعيها، ثم ان الشاعر الاندلسي اهتدى الى اسلوب فريد في الدعوة الى الجهاد والحث والتحريض؛ يقوم هذا الاسلوب على مزج تحريض الجهاد بالمديح.

(١) ينظر: الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ٥٦٠.

المبحث الثاني

الدعوة إلى استنهاض الهمم لمقاتلة الأعداء

رافق شعر استنهاض الهمم شعر سقوط المدن الاندلسية، وهو شعر يلجأ إليه الشعراء في وقت المحن والشدائد، الغرض منه هو الاستنجاد وطلب العون من العرب المسلمين ولاسيما بالعدوة من دول المغرب العربي وذلك لقرب هذه الدول منهم، وقد اطلق على هذا الشعر تسميات متعددة ((مثل الاستنفار، والاستصراخ، ويراد منه الشعر الذي نظمه الاندلسيين، بدعوى الجهاد والدفاع، وقد سجلوا فيه الاحداث التاريخية التي حصلت بين اهل الاندلس وبين دول معادية كانت تهاجم البلاد الاندلسية منفردة او مجتمعة او متحالفة مع بعض الجهات الاوربية او البابوية))[1]، وتأتي الدعوة الى استنهاض الهمم في سياق خطاب ديني شرعي، إذ امر القرآن الكريم النبي (صلى الله عليه وسلم) باستنهاض همم المسلمين وتحريضهم على القتال، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِئَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾(٢)، وهو دعوة باللسان ودفع بالسنان وبذل للاموال وجود بالنفس، وقد ادرك الشاعر الأندلسي هذا الدور الفعال للشعر، فكان لسان حال مجتمعه والمعبر الأمين للواقع، فلم يتوان عن الحث والتحريض على القتال إلى الحد الذي صار معه الاستصراخ والاستغاثة غرضا رئيسا من شعر الحروب والفتن[3] يستنصرون به من يتوسمون فيه النجدة وتلبية النداء، والغيرة لما اصاب الاسلام واهله في الاندلس بعد فقدانهم لمدن مهمة من أرضها، وما نزل بأهلها من الجهد ولحقهم من الأذى الجسدي والنفسي، ((وقد أحس اهل غرناطة بأن الدفاع عن مدينتهم يقع على عاتق المسلمين جميعا؛ لأن الهجمة كانت موجهة ضد الاسلام والمسلمين، فليس هناك

---

(١) في الادب الاندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ١٦٠.

(٢) سورة الانفال: الاية ٦٥.

(٣) تاريخ الادب العربي في الاندلس، ابراهيم ابو الخشب: ٢١٥.

احد يعفى من القيام بواجباته، ولهذا فقد وظف الشعراء الجانب الديني، فهم يلجؤون الى وضع المستنجد به امام واجباته الدينية التي تحتم عليه ان يلبي النداء))[1]، ((واستنهضوا الهمم، وتوسلوا الى ذلك بالقيم التي لا يجوز ان تهدر بين ابناء الامة الواحدة، وبقيت اعين الشعراء والادباء موجهة نحو العدوة اهل المغرب الكبير، وسائر البلاد العربية التي تستطيع الانجاد والاغاثة))[2]، واشتد ظهور هذا النوع من الشعر في عهد الموحدين وأخره حين ضعفت تلك الدولة، وتوالت هزائمها وصار ما يعرف بالانهيار الكبير حيث فقدت فيه الاندلس معظم البلاد ماعدا مملكة غرناطة والتي قاومت الى سنة ٨٩٧هـ، واستمر شعر الاستنجاد الى اخر الوجود العربي في الاندلس، وكان صوت هؤلاء الشعراء صوتا معبرا عن وجدان الامة وظروفها القاسية، يصل بين اجزاء الامة ويستنهض الهمم[3].

وقضت كارثة سقوط المدن مضاجع الشعراء وألهبت عاطفتهم وجعلتهم يتكئون على الخطاب الديني في مناجاة الاخر، فهم لا يتوانون عن طلب النصرة والنجدة بمن لا يرونه اهلا لذلك، لذا فقد أكثر شعراء الاندلس من شعر الاستغاثة ولاسيما من العرب المسلمين ممن يرونه اهلا لذلك، وصرخات الاستنجاد والنصرة لا تعني ان الاندلسيين قد اعتمدوا على المساعدات الخارجية وحسب؛ فسكان المدن الاندلسية وقفوا بكل ما اوتوا من قوة في سبيل الدفاع عن مدنهم.

فسكان اشبيلية دافعوا دفاعا مستميتا عن مدينتهم ((فضلت تقاوم في ضراوة مدة ستة أشهر بالرغم من الحصار الرهيب، فلما نفد الزاد والطعام والسلاح، لم تجد المدينة بُداً من الاستسلام عام ٦٤٥هـ مقابل حقن دماء اهلها وحفظ اموالهم واعراضهم))[4]، وقد قاتلوا قتالا عظيما بسيوفهم وألسنتهم ومن صور منافحاتهم بالقول واللسان ما كتبه ابراهيم بن سهل الاشبيلي في استنهاض همم المسلمين العرب واستصراخهم قائلا:

---

(١) تاريخ الادب العربي، هاشم ياغي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط١، ٢٠٠٥: ٣١٤.

(٢) في الادب الاندلسي: ١٦٠.

(٣) المصدر نفسه: ١٦١.

(٤) الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه: ٥٣٠.

الكامل

يـــا معشـــرَ العُـــرْبِ الـــذين توارثـــوا شِـــيَمَ الحَمِيَّـــةِ كـــابِراً عـــن كـــابِرِ
إنَّ الإلـــهَ قـــدِ أشْـــتَرَى أرْواحَكـــم بِيعـــوا، ويَهْنِكُمـــو ثـــوابُ الْمُشْـــتَرِي
أنـــتم أحـــقُّ بنَصْـــرِ دِيـــنِ نبـــيِّكم وبكـــم تمَهَّـــدَ فـــي قـــدِيم الأعْصُـــرِ [1]

فالشـاعر يسـتنهض مـا عـرف عنـد العـرب مـن نخـوة وغيـرة وحميـة وشـيم، مسـتدعيا الفاظـا فيهـا روح النجـدة باسـتعمال اسـلوب النـداء (يـا معشـر) وبخطـاب عـام الـى المسـلمين كافـة الـذين طالمـا عرفـوا بالشـيم والخصـال الحميـدة التـي ورثوهـا كـابرا عـن كـابرِ، فهـو يسـتنجد بـالعرب ويـذكرهم بـأن الله قـد اشـترى ارواحهـم بـأن لهـم ثـواب الاخـرة، وهـو جـزاء مـن نصـر الله فينصـره، قـال تعـالى: ﴿إِنَّ اللّـهَ اشْـتَرَى مِـنَ الْمُـؤْمِنِينَ أَنفُسَـهُمْ وَأَمْـوَالَهُم بِـأَنَّ لَهُـمُ الجَنَّـةَ يُقَـاتِلُونَ فِـي سَـبِيلِ اللّـهِ فَيَقْتُلُـونَ وَيُقْتَلُـونَ وَعْـدًا عَلَيْـهِ حَقًّـا فِـي التَّـوْرَاةِ وَالإِنجِيـلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [2].

ومـن صـور اسـتنهاض الهمـم مـا نجـده عنـد ابـي عبـد الله محمـد بـن الابـار القضـاعي فقـد كـرس شـطرا كبيـرا مـن شـعره فـي طلـب النجـدة والنصـرة ومـن ذلـك استصـراخه بالسـلطان ابـي زكريـا الحفصـي ملـك المغـرب فـي سـينية الشـهيرة اذ يقـول مخاطبا الحفصي بالمعاني والمفردات الاسلامية والتركيز على رابطة الدين.

(١) ديوان ابن سهل الاندلس: ٣٥.
(٢) سورة التوبة: الاية ١١٠.

إذ يقول: البسيط

أدرِك بِخَيلـــــكَ خَيـــــلِ الله أَندلســـــا إنَ السَّـــبيلَ إلـــى مناجاتِهـــا دَرســـا
وهَب لَها مِن عَزيز النصرِ ما التمست فَلَـم يَـزل مِنـك عـزُّ النَصـر مُلتمَسَـا
وحَـــاشِ ممـــا تُعانيـــهِ حُشاشَـــتَها فطالمـــا ذاقـــتِ البَلـــوى صَـــباحَ مَسَـــا
يـــا للجَزيـــرةِ أضـــحى أهلُهـــا جَـــزَراً للحادِثـــاتِ وأمســـى جَـــدُّها تعســـا[1]

فالشاعر يبدأ هذه الأبيات بقوله (أَدرك بخيلك) وهو طلب النجدة قبل وقوع الكارثة، فيستجيب السلطان أبو زكريا الحفصي لنصرة بلنسية فيرسل الأساطيل المحملة بالعون والمساعدة الى بلنسية من الطعام والكساء[2].

إلاَّ أن هذه المساعدات لم تصل الى مدينة بلنسية لأنَّ المدينة قد استسلمت للأعداء قبل وصول المدد والعون لهم.

فالشاعر يستصرخ بكل ما أوتي من قوة في الكلمة باستعمال فعل الأمر(صل وأحي) وبأسلوب الألتماس والرجاء المشفوع بالحزن العميق على فقدان هذا المكان الأثير حتى يشعر القارئ من خلال مفرداته بالأسى على ما حل بالمدينة الجميلة وما حولها.

إذ يقول: البسيط

صِـل حَبلهـا أيهـا المـولى الـرحيمُ فمـا أبقـــى المِـــراسُ لهـــا حَـــبلا ولا مرســـا
وأحـــي مـــا طمســـت منـــهُ العُـــداةُ كمـــا أحيّيـــتَ مِـــن دَعـــوةِ المهـــديَّ مـــا طُمِســـا
أيـــامَ سِـــرتَ لنصـــرِ الحَـــق مُســـتبقا وبَـــتَّ مِـــن نـــورِ ذاكَ الهَـــدي مقتبِســـا[3]

فابن الابار يحرض ابا زكريا على نجدة اخوانه ويدعوه الى نصرتهم لأن وحدة الدين تحثه على ذلك فضلا على أن منصب الامامة يوجب عليه ذلك ايضا، وبالرغم من ارسال ملك المغرب ابو زكريا الحفصي العون والمساعدة الى اهل بلنسية الا ان هذه المساعدات والمعونات لم تصل الى اهل بلنسية لمحاصرة العدو لها وقد دخل العدو بلنسية بموجب صلح

---

(١) ديوان ابن الابار القضاعي، ابي عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي (٥٩٥-٦٥٨هـ)، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، ١١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ٤٠٨.

(٢) ينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٤٦٠/٤.

(٣) ديوان ابن الابار القضاعي: ٤١٠.

عقد بينهما سنة ٦٣٦هـ[١]، وانفرد الشاعر الاندلسي في شعره وتميز في رثاء المدن التي سقطت بيد العدو، فكان تارة يستصرخ الأخوة والجيران ويستنهض الهمم ليهبوا لنصرتهم، وتارة اخرى يعيب عليهم تخاذلهم وتقاعسهم وانشغالهم لنصرتهم، لذا يكاد الشاعر الاندلسي ينفرد بهذا الموضوع او الغرض وقد طبع هذا الشعر بطابع اندلسي خاص فقد عد من ابرز معالم الشخصية الاندلسية.

ونجد أبا عمر بن المرابط (ت ٦٥٨هـ) يستنهض الهمم يطرق أبواب المرينين مادحاً مستصرخاً بهم إلى القتال من أجل الأندلس بوصف ما للجهاد من حق عليهم يوجبه الدين والجوار وصلة الدم، وقد وظف ابن المرابط في سبيل ذلك كل الادوات الفنية التي يمتلكها بغية التأثير في المتلقي.قائلا:

الكامل

أَبَنـــي مـــرين أنـــتُم جيرانُنـــا ... وأحـقٌ مـن فـي صـرخةٍ بهـم أبتـدي
فالجـارُ كـان بـهِ يُوصِـي المُصـطفى ... جِبريـلُ حقـاً فـي الصـحيح المُسـندِ
أَبنـــي مـــرين والقبائـــلُ كلهـــا ... فـــي المغـــربِ الأدنـــى لنـــا ولأبْعَـــدِ
كُتـــبَ الجهـــادُ علـــيكمُ فتبـــادروا ... منـــه إلـــى الغـــرض الأحـــقُ الأوكَـــدِ
وارضـوا بإحـدى الحُسـنيينِ وأقرضـوا ... حَســناً تفــوزوا وبالاحســان الخــردِ
هـــذي الجِنـــانُ تفتحـــت أبوابُهـــا ... والحـــورُ قاعـــدةٌ لكـــم بالمَرصـــدِ[٢]

فالغايـة الأساسـية عنـد ابـن المـرابط هـي بـث روح النخـوة والاسـتنجاد ببنـي مـرين وقـد اسـتدعى لـذلك جملـة مـن الاسـاليب التـي قوامهـا الاسـتغاثة والاسـتعطاف، كاسـتعمال حـرف النـداء ليشـير الـى ان المسـتغيث والمسـتغاث بـه واحـد تجمعهمـا الاخـوة فـي الـدين والعقيـدة علـى الـرغم مـن تنـأي المسـافة بينهمـا، فضـلا عـن رفـد الـنص بأسـلوب النـداء، وحشـد عـدد مـن الألفـاظ الدالـة علـى المعـاني الاسـلامية التـي تؤكـد

(١) ينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٤/٤٦٠.
(٢) تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان،١٤٢١هـ-٢٠٠٠م: ٧/٢٦٤.

علـى واجـب النصـرة علـى بنـي مـرين كقولـه: ((أنـتم جيراننـا، أحـق، وكتـب الجهـاد، وتبادروا...)) وغيرها من المعاني التي يراد منها النصرة والعون لهم.

وبات على الشاعر الملتزم ((ألا تخمد كلمته، وأصبح لزاما عليه أن يستنفر الوجدان العربي الاسلامي من اجل عدم اضاعة المزيد من الممالك، وهكذا أتجه الشعراء نحو بني مرين حكام المغرب الزناتيين بوصفهم الوحيدين الذين يعتمد عليهم))[١] وربما لانهم يمتلكون المنعة والاستقلال النسبي، فدعت هذه المكانة التي يتمتعون بها أبا عمر بن المرابط شاعر بني الأحمر الى دعوتهم للدفاع عنها مع شيء من العتب. -قائلا:

الكامل

أفـــلا تـــذوبُ قُلُـــوبُكم إخوانَنَـــا ممـــا دهانـــا مـــن ردىّ أو مـــن ردي
أفـــلا تُراعـــون الأذِمَـــة بَينَنـــا مـــن حُرمـــةٍ ومحبـــةٍ وتَـــوددِ[٢]

فالشاعر يعاتب هؤلاء الذين يسميهم اخوانه في الدين مما حل بهم من هؤلاء الاعداء الذين يصفهم بالردي اي الوضيع والخسيس الذين اباحوا ديارهم وهتكوا اعراضهم وقتلوا ابناءهم فهؤلاء الاعداء لا يراعون عهدا ولا ذمة في كل مدينة سقطت بأيديهم.

وشـعر الجهـاد عنـد الشـاعر الاندلسـي فـي عصـر بنـي الاحمـر تجـاوز قضـية التحـريض علـى القتـال والـدفاع عـن المـدن؛ فقـد حمـل مـا يكنـه الشـاعر الاندلسـي مـن محبـة صـادقة ازاء المكـان، لـذا جـاء الشـعر مشـفوعا بالاسـتعطاف والاسـترحام وبعـث كـل صـور النخـوة فـي قلـوبهم مثلمـا فعـل ابـو البقـاء الرنـدي (ت ٦٨٤هـ) الـذي حـث العـرب والمسـلمين للوقـوف مـع اخـوانهم المسـلمين فـي الانـدلس بعـد ضـياع مـدن الانـدلس الكبـرى بيـد النصـارى، كإشـبيلية، وبلنسـية، وجيـان، ومرسـية، وقرطبـة ومـا تضـم مـن معاقـل وحصـون ممـا تنفطـر مـن أجلـه القلـوب كمـدا لهـذا المـآل المـؤلم الـذي حـل بأهلهـا الـذين يصـورهم الشـاعر وهـم فـي حالـة مـن اسـتغاثة دائمـة، فهـم بـين اسـير وقتيـل فيـأتي ابـو البقـاء الرنـدي بحـرف النـداء (يـاء) الـذي تـردد كثيـرا فـي قصـيدته تعبيـرا

(١) مدخل الى الادب الاندلسي يوسف الطويل، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩١: ٣٢.
(٢) تاريخ ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ): ٢٦٣/٧.

عـن شـكواه للـذين مـا فتـأوا ممتطـين الخيـل ضـامرة كنايـة عـن سـرعتها، وهـم يحملـون سـيوفهم اللامعـة، فيضـفى علـى الركبـان كـل صـور الشـجاعة والنصـرة فـي سـبيل الوصـول الـى هدفـه مـن طلـب النجـدة، مـع ظهـور عاطفـة السـخط والغضـب مـن تقـاعس هـؤلاء الفرسـان عـن نصـرة اخـوانهم، وقـد اسـتخدم الشـاعر (كـم) التكثيريـة (كـم يستغيث) للتعبير عن الاستمرارية في الطلب والنصرة. قائلا:

البسيط

يَـا رَاكِبِـينَ عِتَـاقَ الخَيْـلِ ضَـامِرَةً ... كَأَنَّهَـا فِـي مَجَـالِ السَّـبْقِ عِقْبَـانُ

وَحَـامِلِينَ سُـيُوفَ الهِنْـدِ مُرْهَفَـةً ... كَأَنَّهَـا فِـي ظَـلَامِ النَّقْـعِ نِيـرَانُ

وَرَاتِعِـينَ وَرَاءَ البَحْـرِ فِـي دَعَـةٍ ... لَهُـمْ بِأَوْطَـانِهِمْ عِـزٌّ وَسُـلْطَانُ

أَعِنْـدَكُمْ نَبَـأٌ مِـنْ أَهْـلِ أَنْـدَلُسٍ ... قَتْلَـى وَأَسْـرَى فَمَـا يَهْتَـزُّ إِنْسَـانُ

كَـمْ يَسْـتَغِيثُ بِنَـا المُسْتَضْـعَفُونَ وَهُـمْ ... أسـرى وقتلـى فـلا يهتـزَ إنسـانُ

مـاذا الـتَقاطعُ فـي الإِسـلامِ بَيـنَكُمُ ... وَأَنـتُم يـا عِـبَادَ الـلَهِ إِخـوَانُ [1]

فـي هذه الأبيـات حشـد الشـاعر مجموعـة مـن الالفـاظ محملـة بالآهـات والأنـات لمـن يعيشـون فـي رغـد العـيش والطمئنينـة وأمـن وأمـان، وقـد ألهـتهم الـدنيا بمـا فيهـا مـن ملـذات متناسـين مـا يجـري علـى ارض الانـدلس فهـؤلاء قـد ملكـوا كـل مقومـات الـدفاع والـذود عـن المسلمين من سيوف وخيـول ومـال الا انهـم قـد فقـدوا قـيم الاسـلام بإغاثـة الملهـوف ونجـدة المستغيث ومد يد العون لهم ومن ثم يقول ماذا التقاطع والنسيان ألستم اخوان.

ومن وسائل التحريض على الجهاد وبعث الهمم هو التأثير القوي على عاطفة المسلمين بذكر هتك الاعراض ووصف حال الأسرى، إذ يندب الرندي بلاد الاندلس بغية بعث العزائم وتحريكها؛ كي يهب أهل الإسلام لنصرة الدين، فهو يعلم جيداً أن الأعراض لا قبل لمسلم عن الصبر عليها فهو بطبعه لا يحبس نفسه إذا ما ثلم له عرض أو شرف، فيقول مصورا هذه الالام التي عصفت بالأندلس من خلال أبيات تدل على ضياع الارض وانتهاك العرض، وهما اغلى ما يملك الانسان. إذْ يقول الرندي:

---

(١) ديوان أبي الطيب صالح بن شريف الرندي: ٢٣٤-٢٣٥.

البسيط

وطَفَلـةٍ مـا رأتهـا الشّـمسُ إذ بَـرَزتْ كأنمـــا هـــي يـــاقوتٌ ومرجـــانُ
يقودُهـــا العِلـــجُ للمَكـــروهِ مُكرْهـــة والعـــينُ باكيـــةٌ والقلـــبُ حَيْـــرانُ
لِمثـل هـذا يـذوبُ القلـبُ مـن كمـدٍ إن كـانَ فـي القلـبُ إسـلامٌ وإيمـانُ[1]

فالشـاعر فـي هـذه الأبيـات يشـبه انتـزاع هـذه المـدن بالطفـل الـذي انتـزع مـن حضـن امـه والصـورة الثانيـة فـي هـذه الأبيـات هـي صـورة المـرأة فهـي مثـال للشـرف والطهـارة، والعفـة تسـاق الـى الرذيلـة مكرهـة باكيـة علـى مـرأى ومسـمع الكثيـرون والكـل مكتـوفي الأيـدي لا حـول لهـم ولا قـوة وفـي البيـت الأخيـر نجـد الشـاعر يوظـف الاسـتعارة فـي ذوبـان قلـب السـامع ومـا يـرى مـن الـذل الـذي تجرعتـه صـنوف الشـعب الاندلسـي، ومـا تحمـل قلـوبهم مـن معـاني الاسـلام والايمـان فلمـا تركوهـا سـقطت معـاني العـز والشـرف والابـاء فتجرعـوا مـرارة الـذل والأسـى والهـوان، فالشـاعر اسـتخدم وسـائل متعددة للتأثير في المتلقي.

وقد سلك بعض الشعراء طريقا غير مباشر لحض الملوك والامراء على الجهاد، إذ جاء حثهم على الجهاد في سياق المدح لكنه المدح البناء الذي يحمل رسائل غير مباشرة الى وجوب الجهاد والدفاع والنصرة، ولعل اختيار الشعراء لغرض المديح وسيلة للحض على الجهاد نابع من اعتقادهم بأن المديح يمهد لهم الطريق لايصال رسائل ايجابية للممدوحين[2] مفادها إنه هو (الممدوح) المنقذ والبطل الذي يستطيع بما حازه من مناقب، أن يواجه العدو ويقاومه بل وينقذ مدنا وقلاعا بحاجة ماسة له ولجيوشه، والشعراء يرمون من خلال مدحهم هذا الوصول الى القائد المخلص الذي يملك مواصفات يستطيع بها سد الخلل ولملمة شتات ما تفرق في وقت ساد فيه التفكك السياسي والنزعات الداخلية فضلا عن التحديات الخارجية، ومن صور هذا الأسلوب ما قام به الوزير ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) حين أنشد ابا الحجاج، يوسف بن اسماعيل بن فرج (ت٧٥٥هـ) أبياتا. يقول فيها: الطويل

(١) المصدر نفسه: ٢٣٥.

(٢) أدب المحنة الإسلامية، الربعي بن سلامة، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٠: ١١٣.

لَكَ اللهُ ما أمضَى سُيُوفَكَ في العِدى إذا ما أسُود الحَربِ خامَرَها الذعرُ
ودارتْ على أبطالِها أكؤسُ الردّى فَمالَتْ كأنَّ القَومَ أزرَى بها السَّكرُ
وأَيُّ فُؤادٍ مِنهُمُ غَيرُ خافِقٍ إذا خَفقتْ في الحَرب أعلامُكَ الحُمْرُ
دَعَتكَ قُلُوبُ المؤمنين وأخْلصَتْ وقَدْ طَابَ مِنها السَّر للهِ والجَهرُ
ومُدَّت إلى اللهِ الأكُفَّ ضَرَاعَةً فقال لَهُنَّ اللهُ قّدْ قُضِيَ الأَمْرُ[1]

فالشاعر يشير من خلال غرض المدح إلى صفات ممدوحه ويصف شجاعته في مواجهة الاعداء، ووصف الحروب الضروس التي خاضها ويدعوه دعوة المؤمنين بالسر والعلن ويمد لهم يد العون الا ان امر الله قد قضى.

لقد اعتمد الاسبان في حروبهم مع المسلمين في الاندلس على حصار المدن، وكان للشاعر الاندلسي في هذا الامر شأن من خلال طلب النجدة ووصف حال المدن المحاصرة واهلها، مثلما فعل لسان الدين بن الخطيب (٧٧٦هـ)، اثناء محاصرة الاسبان لبعض ثغور غرناطة، وهو يستنجد ببني مرين، ضاربا ناقوس الخطر، ومحذرا بأن النصارى بدأوا يستولون على المدن تباعا، وهذا يعني استبدال الايمان بالكفر، فهو بهذا يحرضهم على النهوض من أجل الدفاع والنصرة فهم أخوة في الدين. قائلا:

الطويل

أإخوانَنَا لا تَنْسوا الفَضلَ والعَطفا فَقَدْ كادَ نُورُ الله بالكُفرِ أَنْ يُطفَا
وإذْ بَلغَ الماءُ الزَبى فَتَداركُوا فقد بَسَطَ الدِيّنُ الحَنيفُ لكم كَفَا
تَحكَّمَ في سُكانِ أندلُسَ العِدى فَلَهفاً على الإسلامِ ما بينهم لَهفَا
وقَدْ مُزِجَتْ أمْواهُها بِدمائِها فَإنْ ظَمِئَتْ لا ريَّ إلا الرَدى صِرفَأ
وجاسَتْ جُيُوشُ الكُفرِ بين حِلَالِها فلا حافِراً أبْقَتْ عليها ولا ظِلْفا
....
ومِنْ صِبيَةٍ حُمْرِ الحَواصِلِ أصبَحَتْ تُقَلّبُ ذُعرا بَينَ أَعدائِها الطَّرْفا

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني (٧٧٦هـ)، صنعه وحقق وقدم له: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م: ٤٠١/١.

ومِـنْ نِسـوَةٍ أضـحَتْ أيـامي حَواسِـراً تُعـايِنُ فـي أعوانِهـا الـوَهْنَ والضَـعفا[1]

فالشاعر استخدم حرف النداء (الهمزة) وهو لنداء القريب؛ لينزل بني مرين منزلة القريب، إشارة الى قربهم من قلوب اخوانهم في الاندلس وحضورهم في اذهانهم، فهو بهذا ينادي بوحدة المسلمين.

ومـن قـول ابـن زمـرك (ت٧٩٧هـ) يحـث الغنـى بـالله محمـد الخـامس علـى الجهـاد والتصـدي لغـارات العـدو ويـدعوه للتوكـل علـى الله بعـد الاخـذ بالأسـباب مـن اعـداء الصـلاة وتجهيـز الجيـوش والاسـتعداد للمعركـة، وهنـا يجعـل مـن المعركـة كلهـا وكأنهـا اسـلامية صـرفة هـدفها لـيس تحريـر الأرض وحسـب أو دفـع عـدو صـائل، وانمـا اهـدافها اسـلامية بحتـة، إذ تبـدو المعـاني الاسـلامية بوضـوح مـن خـلال حثـه الممـدوح علـى الجهـاد بـل يـدعوه بصـيغة الأمـر (جهـز)؛ لأن يخـوض غمـار هـذه المعركـة فـلا سـبيل غيـره، فلـيس مـن الحكمـة الصـبر فـي الموضـوع الـذي يـدعو الـى الحسـم فالصـبر في اعين الاعداء ربما يفسر ضعف. قائلاً:

الكامل

جَهِّـزْ جُيُوشَـكَ للجِهـادِ مُوَفقـاً وكَفـى برَبِّـكَ كافيـاً وكَفـيلاً
ولْتُبعِـدِ الغـاراتِ فـي أرْضِ العِـدى واللهُ حَسْـبُكَ ناصِـراً ووَكـيلاً
وإليـكَ مِـنْ سُـمْرِ الجِهـادِ غريبَـةً جاءَتْـكَ تُقْرِضُـكَ الثَنـاءَ جَمـيلاً
وأطَلْـتُ لكِنِّـي أَطَبـتُ وعـادتي أُلفَـي مُطيِبـاً فـي المَـديحَ مُطِـيلاً
لازال نَصْـرُكَ كُلَّمـا اسْـتَنجَدتَهُ لِمُهِـمِّ دِينِـكَ عائِـداً مَوصُـولاً[2]

فالشـاعر يـدعو ممدوحـه الـى اعـداد العـدة لمواجهـة الاعـداء مـن خـلال حثـه علـى الجهـاد والـدفاع عـن مـدنهم وخاصـة بعـد سـقوط مـدن الانـدلس الكبـرى تباعـا فالشـاعر يشـيد بانتصـارات ممدوحـه كلمـا اسـتنجد بـه دفاعـا عـن الارض والـدين لـذا فقـد كـان شـعر المـديح الغـرض منـه حـث الممـدوح علـى القتـال والـدفاع عـن ارضـهم ضـد الاعداء.

---

(١) المصدر نفسه: ٢/٦٧٧-٦٧٨.

(٢) ديوان ابن زمرك: ٤٨٠.

وقد يحاول الشعراء ولاسيما شعراء بني الاحمر اعادة الاذهان الى امجاد العرب المسلمين وبطولاتهم في بدايات الدعوة المحمدية والتذكير بالمعارك التي خاضها الرسول (ﷺ)، حيث اظهر فيها المسلمون شجاعة منقطعة النظير، كمعركة بدر وأحد وكل ذلك من اجل رفع الروح المعنوية عند المسلمين، وفي ذلك يقول ابن زمرك (ت٧٩٧هـ):

الكامل

سَـــلْ عَـــنْهُمُ أُحُـــداً وبَـــدراً تُلْفِهِـــمْ أَهْـــلَ الغنـــاءِ بـــه وأَهـــلَ المَغْـــنَمِ
وبِفَـــتحِ مَكَّـــةَ كَـــمْ لَهُـــمْ فـــي يَومِـــهِ بلـــواءِ خَيْـــر الخَلـــقِ مِـــن مُتَقَـــدِّمِ
أَقسَـــمْتُ بـــالحَرَمِ الأمـــينِ ومَكَّـــةٍ والـــرُّكنِ والبَيـــتِ العَتيـــقِ وزَمـــزَمِ
لَـــولا مـــآثِرُهُمْ وفَضْـــلُ عُلاهُـــمُ مـــا كـــانَ يُعـــزى الفَضْـــلُ للمُتَقَـــدمِ[1]

وهكذا نجد الشاعر من خلال دعوته لقتال الاعداء استذكار ما كان للعرب المسلمين من معارك خاضها الرسول (ﷺ) والمسلمون واستذكار تراث المسلمين التاريخي في الهاب مشاعر الغرناطيين وايقاض هممهم لكي يدافعوا عن بلادهم ضد الاعداء وكذلك من اجل رفع الروح المعنوية لديهم من خلال تذكيرهم بهذه المعارك الخالدة.

وهكذا نجد من خلال استعراض شعر هؤلاء الشعراء ان هذا الشعر كان مرافقا لشعر سقوط المدن الاندلسية بيد الاعداء الصليبيين فكلما سقطت مدينة هب الشعراء يناشدون المسلمين للدفاع عن مدنهم فكان هذا الشعر يعبر عن الحالة النفسية للشاعر الاندلسي وتصويرا للاحداث التي جرت في كل مدينة من مدن الاندلس التي سقطت بيد الصليبيين.

وقد تجاوز شعر الدعوة لاستنهاض الهمم عند الشاعر الاندلسي في عصر بني الاحمر قضية التحريض على القتال والدفاع عن المدن، فقد حمل ما يكنه الشاعر الاندلسي من محبة صادقة ازاء المكان، لذا جاء الشعر مشفوعا بالاستعطاف والاسترحام وبعث كل صور النخوة في قلوبهم مثلما فعل ابو البقاء

(١) ديوان ابن زمرك: ٤٨٥.

الرنـدي الـذي حـث المسـلمين للوقـوف مـع اخـوانهم المسـلمين فـي الانـدلس بعـد ضـياع مدن الاندلس الكبرى بيد النصارى.

المبحث الثالث

مظاهر الآخرة (الموت، الشيب، المعاد)

ارتبط موضوع ذكر الموت والشيب والمعاد والآخرة في عصر بني الاحمر بجملة اشياء منها ما يعود الى ما مرت به هذه المرحلة من تاريخ الاندلس من ازمات مفصلية في تاريخها، وما تعرض له الاندلسيون من اضطهاد وتهجير وعدم استقرار، وربما برزت هذه الموضوعات بوصفها ردة فعل لحياة المجون واللهو والعبث، التي عاشها الاندلسيون، او ربما جاءت نتيجة طبيعية للتكفير عن المعاصي والذنوب التي حصلت في مرحلة الشباب فصارت مرحلة الشيخوخة ندما وانكسار وتكفيرا عن الذنوب السابقة، فكثر ذم الدنيا وذكر الاخرة قابلها دعوة الى ((التقوى والصلاح وطاعة الله والتذكير بقدرته وقضائه، والابتعاد عن كل ما فيه حساب الاخرة والاعتراف بالذنوب والتوبة والتضرع الى الباري في الشيخوخة...))[1] فقد ادرك هؤلاء الشعراء بحتمية الموت، فمنذ الجاهلية كانت قضية الموت محنة لديهم، فقد نظروا إلى من قبلهم كيف رحلوا ومن لا يزالون يرحلون ولا يعودون من الاهل والاحباب والاصحاب، لذا اخذوا بالتفكير بحتمية الموت، متذكرين قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]، كانت هذه العوامل تدفع باتجاه هذا الغرض من الشعر، فضلا عن شيوع شعر الزهد والتصوف في هذه المرحلة، ((فكان من بين اقطابه ابو الحسن علي بن فرحون القرشي القرطبي المتوفى٧٥١هـ-١٣٥٠م؛ وابو اسحاق ابراهيم بن يحيى الانصاري المرسى توفى بغرناطة ٧٥١ هـ -١٣٥٠م، وله كتاب (زهرة الأكمام) في قصة يوسف (عليه السلام)؛ وابو عبد الله محمد بن محمد الانصاري المالقي المتوفى ٧٥٤هـ-١٣٥٣م، وله كتاب (بغية السالك في

---

(١) مدخل الى الادب الاندلسي، يوسف الطويل: ١٢٨.

(٢) سورة النساء: الاية ٧٨.

(٣) سورة الجمعة: الاية ٨.

أشرف المسالك)، في مراتب الصوفية وطرائق المريدين))[1]، لقد آمن الشعراء الاندلسيون بالموت، وايقنوا حتميته ومغادرتهم لهذه الدنيا، ومع ذلك نجد البعض منهم من تعلق بهذه الحياة، وأسف على مغادرتها، لاسيما اهل الجاه والسلطان فنظرة الشعراء لهؤلاء الذين تمسكوا بالحياة وتعلقوا بها على الرغم من قبحها، فهؤلاء مساكين غرتهم هذه الدنيا، فبرز عند بعضهم ان الموت غاية مرجوة، وأن الحياة منبوذة فتردد في غالب شعرهم الانقطاع عن الحياة الدنيا، وذكر الموت والاخرة.

ومن شعراء الاندلس الذين ذكروا الموت والاخرة ابن الابار القضاعي (ت ٦٥٨هـ). قائلاً:

البسيط

ولا تُعــرِّج علـــى أعـــراضِ فانيـــةٍ تُولِّيـــكَ هَجـــراً إذا أولَيتَهـــا وَلَعـــا
إيَّـــاكَ والأَخـــذَ فيمـــا أَنـــتَ تارِكـــهُ مـــن تُرَّهَـــاتِ تَجُـــرُّ الشَّـــيْنَ والطَّبَعـــا
دِنْ باطِّراحِـــكَ دُنيـــا طالمـــا غَـــدَرَت وزُخرُفـــاً مِـــن حُلاهـــا شَـــدَّ مـــا خَـــدَعا
واذْأَبْ علـــى البِـــرِّ والتَقـــوى فَبابُهـــا إلـــى الســـعادَةِ مَفتُـــوحٌ لمـــن قَرَعـــا
ولا تُفـــارِق صـــدى فيهـــا ومَخمَصَـــةً تَنَـــلْ بِـــدارِ الخُلـــودِ الـــريَّ والشِّـــبِعا[2]

فالشـاعر فـي هـذه الابيـات يوجـه نهيـه بصـيغة الامـر بـلا الناهيـة والفعـل المضـارع (لا تُعـرج، لا تُفـارق) ثـم بصـيغة التحـذير (ايـاك) ومـن ثـم الامـر (دِنْ- واذْأب) كـل ذلـك يؤكـد فنـاء الـدنيا وعـدم تعلقـه بهـا فقـد وصـفها بأنهـا غـادرة خادعـة تولـع صـاحبها بزخرفهـا الفـاني، والشـاعر ينصـح بالعمـل الصـالح الـذي يـؤدي بصـاحبه الى السعادة والخلود وفيها الشبع والنعيم.

(١) نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان: ٤٦٧.
(٢) ديوان ابن الابار القضاعي: ٣٧٧-٣٧٨.

ويقول ابن الابار واصفا ايام شبابه. قائلا:

الكامل

ولَعَمرُ ما أنفَقتَ مِنَ عُمري بها وجَنيتُ مِنْ ثَمراتِ عَيش يَعذَبُ
ولأغلَبَنّ على السلوّ صَبابتي والشّوقُ في كُلِ المواطِن أَغلَبُ
ولأندُبَنَ بها الشبابَ وشَرخَه إنّ الشّبابَ أحقُ فانٍ يُندّبُ[1]

فابن الابار يصف ما يشعر به من صعوبة العيش في مشيبه؛ ولاسيما في ظل الظروف الصعبة التي ألمت بالاندلس من ضياع الكثير من المدن، وما رافقها من ضعف بدنه لذا وصف ايام شبابه وهو في مرحلة كبره ومشيبه.

وفي وقت تهاوي المدن وسقوطها واستشراء الظلم والفساد وذهاب نظارة الحياة وجمالها، وموت الاهل والخلان، وتبدل الحال من السرور الى الاحزان يصير الموت ملاذا ورغبة عارمة في الخلاص، وهذا ما كان عليه فعلا بعض شعراء الاندلسيين، كأبي البقاء الرندي (ت٦٨٤هـ) الذي يقول والذي يطيب له الحمام[2] ويلذ نتيجة ما يمر من زمن صعب يشيب من هوله من لا يشيب. قائلا:

الوافر

ألا إنا خُلِقنا في زمانٍ يَشيبُ بهَولِهِ من لا يشيبُ
وقَد لَذَّ الحِمامُ وطاب عندي وعَيشي لا يَلَذُّ ولا يَطيبُ
لحي الله الضرورة فهي بلوى تُهين الحَر والبلوى ضَروبُ[3]

فالشاعر يعاتب الزمان والحال التي وصل اليها بعد فقدان مدنهم، فكثرة الهموم تشيب كل انسان فكل هذه البلوى والمصائب تشيب من لا شيب له.

وقد كان أصحاب هذا الغرض من الشعر دائمي التفكير في الموت والمآل الذي سيصيرون اليه، والسعيد عندهم من فاز برضا الله تعالى ونجا من عذاب القبر واهوال النار،

---

(١) ديوان ابن الابار القضاعي: ٦٠.
(٢)
(٣) ديوان أبي الطيب صالح بن شريف الرندي (٦٨٤هـ): ١٠٩.

فكثر عندهم المفردات التي تنتمي الى عالم ما بعد الموت كذكرهم للنار والحر والجحيم، ولاشك ان توظيف مثل هذه الالفاظ في الشعر الاندلسي قد أكسبت الخطاب الشعري صبغة دينية حزينة، فيقول (أبو القاسم احمد الكلبي (ت٧٤١هـ))[١] ذاكرا الموت ومصيره سائلا الله ان ينجيه من عذاب الاخرة مستعينا بالأداة (يا) للاستغاثة والدعاء. قائلا:

البسيط

يـا ربِّ إن ذنُـوبي اليَـوم قـد كثُـرت فمـا أطيـقُ لهـا حصـراً ولا عَـددا
ولَـيسَ لـي بعـذابِ النّـارِ مـن قِبَـل ولا أُطيـقُ لهـا صَـبراً ولا جلـدا
فـانظُر إلهـي إلـى ضَـعفي ومَسكَنَتي ولا تُـذيقني حـرَّ الجحـيمِ غـدا[٢]

فالشاعر هنا يطلب الشفاعة من الله تعالى لكثرة ذنوبه التي لا يطيق حصرها وعدها لكثرتها ومستشفعا من الله ان يخلصه من حر الجحيم في الاخرة.

وهذا ابن الحاج البلفيقي (ت٧٧١هـ) يبكي شبابه الذي مضى، ويأسف على ما سيلقاه، كما لقي من قبله اهله واسرته واقرانه، يبكي ويتحسر على هذه البلوى. قائلا:

الطويل

أُبكـي شـباباً قـد مضـى صـفوُ مائِـهِ وأقبـلَ شـيبٌ أبـيضٌ مثـلُ أكفـاني
....
مضـى كـلُّ أقرانـي وأهلـي وأسـرتي ومـا لَقـوا يـا حسـرتي سـوفَ يلقـاني
بَكيـتُ لبلـوى كلكـم مبتلّـى بهـا ففـي الحـقِّ أن تبكـوا علـى مـا قَـدَ أبكـاني[٣]

فالشاعر في هذه الابيات يعرج على ذكر الفناء من خلال ذهاب شبابه، إذ جاء بالمتضادات في ابياته مثل (شباب وشيب/ ومضى وأقبل) كي يظهر من خلالها حسرته واسفه على ذهاب هذه القوة المتمثلة بالشباب، كما إن الشاعر كرر بعض الالفاظ مثل (لقوا،

(١) محمد بن احمد بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن جزي الكلبي يكنى أبا القاسم من أهل غرناطة: الاحاطة في اخبار غرناطة: ٢٠/٣.
(٢) الاحاطة في اخبار غرناطة: ٢٣/٣؛ وينظر: نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٥١٦/٥.
(٣) شعر أبي بركات ابن الحاج البلفيقي (ت ٧٧١هـ): ٧٧-٧٨.

يلقاني/ بكيت، تبكو، ابكاني/ بلوى، مبتلى) وفيها ايقاع يعمق الشعور لدى المتلقي بأن ذهاب الشباب هو بلاء وكلنا معرضون له فلا مفر منه لذلك يتحسر الشاعر على ذهاب شبابه وهو مصير كل انسان.

ونتيجة لكل هذه العوامل مجتمعة نجد الشاعر الاندلسي يعبر عن موقفه من الزمان والدهر وذكر الموت والاخرة في شعره، فنجد ان الموت غاية مرجوة وأن الحياة فانية مذمومة، فتردد في شعرهم الانقطاع عن الحياة الدنيا، وذكر الموت والاخرة، ومن ذلك ما نجده في شعر ابي جعفر احمد بن صفوان (ت٧٦٣هـ)[١] في ذمها. قائلاً:

البسيط

حَـديثُ الأمـان فـي الحيـاةِ شـجونٌ ... إن أرضـاك شـأنٌ أحفظتـكَ شُـؤونُ

....

تُجـافَ عَـن الـدنيا ودِن باطِّراحهـا ... فَمركبُهـا بـالمُطمعينَ حَـرونُ[٢]

فالشاعر يذم الدنيا وما فيها ويمدح من يقلل من عقبى لها.

ويتفق لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) مع أن الموت حقيقة ويذكر بما قاله تعالى. قائلاً:

الرجز

مـا فـوقَ وَجـه الأَرضِ نفـسٌ حَيَّـةٌ ... إلَّا قَـد انقَضـى عَليهـا أَجَـلُ

لـو أنهـم مِـن غَيرهـا قـد كُوِّنـوا ... لامـتلأَ السَّـهلُ بهـم والجَبَـلُ

مـا ثـمَّ إلا لُقمـةٌ قَـد هُيئـتْ ... للمـوتِ وهـو الآكِـلُ المُسـتَعجلُ

والوَعـدُ حَـقٌّ والـورى فـي غَفلَـةٍ ... قَـد خوُدِعـوا بعاجِـلٍ وضُـلِّلوا

أَيـنَ الـذينَ شَـيَّدوا واغتَرَسـوا ... ومَهـدوا وافتَرَشـوا وظَلَّلـوا

أَيـنَ ذَووا الراحـاتِ زادَت حسـرةً ... إذ جنبـوا إلـى الثـرى وانتَقلـوا

---

(١) احمد بن ابراهيم بن احمد بن صفوان من اهل مالقة يكنى ابا جعفر ويعرف بابن صفوان: الاحاطة في اخبار غرناطة: ٢٢١/١.

(٢) الاحاطة في اخبار غرناطة: ٢٢٥/١-٢٢٦.

لَـم تَـدفعِ الأَحبـابُ عـنهم غَيـرَ أَنْ بَكـــوا علـــى فـــراقهم وأعولـــوا[1]

فابن الخطيب يرى ان الموت حق الناس ولا مفر منه فمن يظن ان الموت بعيد عنه واهم، فكل الذين شيدوا البنيان، واغرسوا الزروع وصنعوا كل ما ينجم عنه الراحة والسعادة، قد يصلهم الموت، ولم يدفع عنهم احبابهم الموت، وكل ما استطاع الاحباب فعله هو البكاء والعويل لفراقهم.

وقد يتصل ذكر الشيب بالمصائب والقهر والسجن عند ابي الحجاج يوسف الثالث، وهو يشكو في سجنه من مأساة الحبس والوحدة التي ألمت به من قبل أقرب الناس اليه، ولم يبرح السجن الا بعد ان مات سجانه أخوه الامير محمد، فيقول في ذلك شاكيا متوجعا ذاكرا الشيب كناية عن طول المدة التي قضاها في حبسه وعن ألم الفراق والغدر الذي قاساه فلم يشب من كبر سنه ولكن صروف الدهر ونوائبه هي من صَيّرت شيبه. قائلاً:

الطويل

لقـد خـاض لـجَّ الحـب منـى فتـى غـرٌّ وشـبتُ فشـبتْ فـي ضـلوعي لـه جمـرَ

....

ومـا شِـبتُ مـن سـنّ ولكـن أشـابني صُـروف زمـان سـوف يُلفـي بـه الجبـر

وإن زمانـــاً قـــد أحـــال شـــبيبتي لأجْـدَرُ أن يعـزي إلـى فعلـه الغـدْر

دع الـــدهر والأيـــام وارق تكســـباً لِنيـل معـال عنـدها يُرفـع القـدر[2]

فالشاعر قد جانس بين (شبْتُ، وشَبَّتْ) والشيب هو بياض الشعر وهو دليل على التقدم بالعمر ويريد بذلك انه اصبح شيخا متقدما بالعمر واصبح شيخا ابيض الشعر فالعرب تشبه الشعر الابيض بالمشتعل وجاء في الذكر الحكيم قوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[3]، وقد احدث الجناس نوعا من النغم الموسيقي، مما يثير النفس ويطرب الاذان وقد اعطى المعنى قوة وتكاملاً، فأحدث الجناس نوعا من الربط لمناسبة المعنى ودلالة عليه ومكملا له، فقد برز الحالة التي يشعر بها من ألم وتحسر على ضياع سني شبابه في السجن ظلما وغدرا.

---

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٢/٥١٢-٥١٣.

(٢) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ٦٢.

(٣) سورة مريم: الاية ٤.

فبعض الشعراء مشدود الى الاخرة لا رجاء له في الدنيا ولا نصيب فعلامات اليأس من الدنيا بادية في شعرهم لاسيما بعد ان فقدوا احبتهم اوطانهم ومدنهم فظهر هذا الشعر جليا في اشعارهم. لذا فأن المتتبع لشعر شعراء الاندلس في هذه الحقبة الحرجة من التاريخ يجد انها صورت بدقة المآل الذي وصلت إليه الاندلس بسبب الضياع والاضطهاد والفرقة والضعف والنزاعات الداخلية فاستطاعت اشعارهم ان تعبر عن المناخ الفكري والاجتماعي والسياسي لذلك العصر، وقد أدرك هؤلاء الشعراء حقيقة لا تقبل الشك ان لا سبيل لا يقاف شبح الموت؛ لأنه امر مقدر بمشيئة الخالق تبارك وتعالى.

وعلى الرغم من إدراك الشعراء لهذه الحقيقة الا انهم قد كرهوا الموت وذموه لأنه يدك قواعدهم يقوض اركانهم.

الفصل الثاني

مضامين الخطاب الديني

المبحث الأول

مضامين الخطاب الديني القرآني

المبحث الثاني

مضامين الخطاب الديني النبوي

المبحث الثالث

مضامين الخطاب الديني التاريخي

الفصل الثاني

مضامين الخطاب الديني

توطئة:

حظيت الاندلس بمكانة عظيمة عند العرب، وكانت محط انظارهم لما امتازت به من رقي في جميع الجوانب السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية، ولعل ذلك يعود الى العرب المسلمين الذين كان لهم الدور الأكبر في تأسيس هذه الحضارة العريقة وذلك بما شيدوا فيها من قصور وصروح شامخة لاتزال آثارها بارزة الى يومنا هذا، وقد سادت الحضارة الاسلامية فيها قرونا عدة، هذا من جانب ومن جانب اخر ان بلاد الاندلس قد انعم الله عليها بطبيعة خلابة جذبت اليها الشعراء، فأفضوا في التغني بمناظرها، وكذلك ما اتسم به اهل الاندلس انفسهم من مميزات جعلتهم يتميزون وينفردون عن غيرهم، وفي هذا الصدد يقول المقري: ((حال أهل الاندلس في فنون العلوم فتحقيق الانصاف في شأنهم في هذا الباب، انهم احرص الناس على التميز، فالجاهل الذي لم يوفقه الله للعلم يجهد ان يتميز بصنعة، ويربأ بنفسه أن يرى فارغا عالة على الناس، لأن هذا عندهم في نهاية القبح، والعالم عندهم معظم من الخاصة والعامة، يشار إليه ويحال عليه، وينبه قدره وذكره عند الناس))[1]، ((وكانت اللغة العربية وعاء ذلك، لما امتازت به من سلامة التعبير وحسن التصوير، ولكونها لغة القرآن الكريم، وهضم لجميع لغة القرآن الكريم في ثقافتهم التي اهلت منهم بخاصة، إلى أن يتأثروا بلغته وألفاظه ومعانيه وأساليبه وصوره تأثرا كبيرا))[2]، فاللغة هي الوعاء الثري الذي يحمل مشاعر واحاسيس الشاعر، فمن خلال اللغة يعبر الشاعر عن أفكاره وصوره بالاسلوب المناسب، فاللغة الوعاء الغني بالمعاني والاخيلة، وتأثرت لغة الشاعر الاندلسي بلغة المشرق

(١) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ١/٢٢٠.

(٢) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ، محمد شهاب العاني، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠١٠: ٩.

فبدت ملامح البيئة المشرقية واضحة فيهم بالرغم من انهم يعيشون في بيئة اندلسية متحضرة.

وقد ادرك الادباء العرب ما حملته لغة القرآن الكريم من بيان وبلاغة في التعبير، اضفى على الألفاظ العربية معانٍ ومدلولات عميقة، فاستعملها العرب تأثرا بأسلوب القرآن الكريم في اشعارهم ورسائلهم[١] وظل القرآن الكريم الرابط المتين الذي يربط الشعر العربي بعضه ببعض قديمه وحديثه على مر العصور؛ ولأنه المنبع في امداد الثروة اللغوية، فالشعر الاندلسي مثلا لا ينفصل عن التقاليد الموروثة في الشعر العربي العام، فهو يجري في الاتجاه نفسه ويشيع فيه هذا التيار الذي يصل بين الماضي والحاضر[٢] وهكذا عاش الأدب الاندلسي نحو ثمانية قرون، وتأثر بتلك البيئة التي عاش فيها وأثر في بيئته وفيما جاورها من بيئات، وليست تلك القرون الطويلة بالزمن الهين في تاريخ الأدب، وليست الأندلس بيئتها الطبيعية وظروفها الاجتماعية والسياسية، بالشيء الذي يمكن اغفاله في درس هذا الأدب...، ومن هنا وجب العناية بدرس هذا الادب، وفاء بحق ما يقرب من ثمانية قرون من تاريخ الأدب العربي وكذلك وجبت العناية بدراسته تقديرا لآثار اقليمية لها فاعليتها في حياة هذا الادب، وكذلك وجبت العناية بدراسته توضيحا لنفحات عربية اسلامية حملت الى بعض الاداب الاوربية اريجها العطر[٣] وبما ان الادب الاندلسي هو في الاصل امتداد للادب العربي في المشرق الا انه اضاف الينا جديدا وتطورا ملحوظا في الجوانب اللغوية والادبية، لذا كان المقري محقا حينما قال: عن بلاده الاندلس: ((لا تَستَوفَى بعبارة، ومجاري فَضْلها لا يُشقُّ غُباره، وأنى تجارى وهي الحائزة قَصَبَ السبق، في أقطار الغرب والشرق))[٤] وأن الذي يريد ان يعرف مكانة القرآن الكريم، بوصفه رافدا مهما في ثقافة الشاعر الأندلسي، عليه أن يبدأ من معرفة طريقة التعليم في الاندلس ومناهجه، ويمكن معرفة ذلك من خلال ما أورده ابن خلدون بقوله: ((وأما أهل الاندلس، فمذهبهم تعليم القرآن والكتاب من حيث هو، وهذا هو

(١) ينظر: أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة اليرموك، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م: ١٧-١٨.

(٢) ينظر: أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الاندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ: ١٥.

(٣) ينظر: الأدب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، احمد هيكل، دار المعارف، القاهرة،١٩٨٥: ٥.

(٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ١٢٥/١.

الذي يراعونه في التعليم، إلا أنه لما كان القرآن أصل ذلك وأُسه ومنبع الدين والعلوم، جعلوه أصلا في التعليم، فلا يقتصرون لذلك عليه فقط، بل يخلطون في تعليمهم للوالدان رواية الشعر في الغالب والترسل وأخذهم بقوانين العربية وحفظها وتجويد الخط والكتاب، ولا تختص عنايتهم في التعليم بالقرآن دون هذه بل غايتهم فيه بالخط اكثر من جميعها الى ان يخرج الولد من عمر البلوغ الى الشبيبة وقد شدا بعض الشيء في العربية والشعر والبصر بهما وبرز في الخط والكتاب وتعلق بأذيال العلم على الجملة...))[١]، ومع هذا ((ليس لأهل الاندلس مدارس تعينهم على طلب العلم، بل يقرءون جميع العلوم في المساجد بأجرة، فهم يقرءون لأن يعلموا لا لأن يأخذوا جاريا، فالعالم منهم بارع لأنه يطلب ذلك العلم بباعث من نفسه يحمله على ان يترك الشغل الذي يستفيد منه، وينفق من عنده حتى يعلم، وكل العلوم لها عندهم حظ واعتناء، إلا الفلسفة والتنجيم، فإن لهما حظا عظيما عند خواصهم))[٢]، ((وإذا كان الشخص بالاندلس نحويا او شاعرا فإنه يعظم في نفسه لا محالة ويسخف ويظهر العجب، عادة قد جبلو عليها))[٣] لذا فقد اقبل الدارسون والباحثون بدراسته، إذ وجدوا فيه ما يستحق الدراسة والاعجاب في مجالات عدة، ولاسيما ان هذا الادب ثري بمضامينه الدينية المستمدة من القرآن الكريم والحديث الشريف ويرجع تاريخ الخطاب الديني عند العرب في الجاهلية الى خطب الكهان، ((ولاشك أن الخطابة كانت فنا معروفا في ذلك الوقت يمارسها الرؤساء وذووا الرأي في القبائل للاستنفار والمناشدة ولكن آداب الجاهلية من شعر وخطابة عفى اثارها الاسلام لما كانت تحويه من اشارات وثنية ونخوة جاهلية، والاسلام يكره الاثنين لتعصبه للتوحيد ولرغبته في المساواة بين المسلمين، ثم كان الاسلام فخطب النبي (ﷺ) وكذلك خطب الخلفاء الراشدون، وصارت خطبة الجمعة سُنة وركنا من أركان الدين)) [٤].

ومن هنا يتضح دور الخطابة المهم فقد كانت ((غاية الخطابة عند الحكماء الحصول على قوة التمكن من الاقناع وفضلها عظيم وشرفها جسيم، إذ أفضل

(١) مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، دار احياء التراث العربي، (د.ت): ٥٣٨.

(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ١/٢٢٠-٢٢١.

(٣) المصدر نفسه: ١/٢٢٢.

(٤) ينظر: أشهر الخطب ومشاهير الخطباء، سلامة موسى، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م: ٩.

العلـوم والصـناعات، وشـرفها بشـرف غايتهـا وللخطابـة غايـة ذات شـأن خطيـر، وهـي ارشـاد النـاس الـى الحقـائق وحملهـم علـى مـا يـنفعهم فـي العاجـل والآجـل، والخطابـة معـدودة مـن وسـائل السـيادة والزعامـة، وكـانوا يعـدونها شـرطا للإمـارة فهـي تكمـل الانسـان وترفعـه الـى ذرى المجـد والشـرف))[1] وكـان الخطيـب يسـتلهم ((مـن القـرآن الكـريم والسـنة المحمديـة والاقتبـاس منهمـا دائمـا مـددا لا ينفـد، ومعينـا لا ينضـب))[2]، قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾[3].

ولمـا دخـل العـرب الانـدلس ادخلـوا بلاغـتهم ولغـتهم التـي كانـت مـن اكبـر مظـاهر الفنـون لـديهم فتبعـت اول خطـوة خطاهـا اكبـر قـوادهم وفـاتح هـذه الـبلاد طـارق بـن زيـاد واول مظـاهر تلـك البلاغـة العربيـة الخطبـة الحماسـية الشـهيرة لهـذا الفـاتح العظـيم، والتـي تـدل علـى رسـوخ ملكـة البيـان فـي القـواد، وخبـرتهم بالقيـادة... وبـث الامـل فـي نفـوس جنـوده باكتسـاب الغنيمـة وانتظـار الاجـر مـن الله، وأن القائـد بلسـانه كالقائـد بسـيفه وسـنانه، قالهـا طـارق بـن زيـاد وهـو قـادم علـى عـدو اكثـر منـه عـددا وعُـدة، ذلـك لأنـه دخـل الانـدلس ومعـه اثنـا عشـر الفـا مـن الرجـال ارهـب بهـم سـبعين الفـا مـن الاعداء[4].

وكان الغرض من الخطابة الدينية دعوة الناس الى الهدى ودين الحق واحياء الفضيلة واماتة الرذيلة واصلاح فساد القلوب[5].

فتـرى خطـب هـذا العصـر المنيـر ورسـائله ترجـع إلـى الكتـاب والسـنة حاثـة علـى الفضـيلة منفـردة عـن النقيصـة، وكلهـا جـاء فيـه اللفـظ تابعـاً للمعنـى صـادرة عـن شـعور

---

(١) فن الخطابة واعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام: ١٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٥.

(٣) سورة الكهف: الآية١٠٩.

(٤) بلاغة العرب في الاندلس، احمد ضيف، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، مصر، ط١، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م: ٣.

(٥) فن الخطابة واعداد الخطيب: ١٠٦.

حـــي ووجـــدان صـــادق[1]. وكانـــت الخطـــب فـــي هـــذا الـــدور دينيـــة محضـــة، وأخـــذ المبصـــرون بـــالأدب ومنـــذ نـــزول القـــرآن الكـــريم بإدامـــة النظـــر فيمـــا بـــين ايـــديهم مـــن فنـــون القـــول، ومقارنتهـــا بمـــا جـــاءهم مـــن كتـــاب ســـماوي فأخـــذوا يحـــاولون تفهـــم هـــذا الكتـــاب واستيعاب مدلولاته ومضامينه الدينية.

(١) فن الخطابة واعداد الخطيب: ٢٥.

المبحث الأول

مضامين الخطاب الديني القرآني

من المعروف ان القرآن الكريم قد بهر العرب بأسلوبه الفني المعجز وقيمه الفكرية والتشريعية، فأكبوا على دراسته وحفظه والعناية به عناية لم يحض بها اثر فكري او ادبي على الاطلاق، وصارت الثقافة الاسلامية عموما وعلى توالي العصور تعتمد القرآن مصدرا تدور حوله الابحاث الفقهية واللغوية والفكرية، وكان حفظ اللغة العربية وآدابها من هذا الكتاب كبيرا بما امدها من روح جديدة، وبما اضفاه عليها من أساليب بلاغية رفيعة، ((وبات من المسلم به ايمانا يقينا ان القرآن الكريم هو الدستور الخالد الذي نتعبد الله تعالى بتلاوته، ونتواصل معه سبحانه بمطالعته وقراءته، وأن هذا القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وأن الله تبارك وتعالى انزله كلاما متماسكا لا نقص فيه ولا عوج ولا اضطراب، وأن الترتيب الذي ارتضاه ربنا تعالى لسوره وآياته هو الترتيب الذي لا يمكن ان يكون غيره افضل منه))[1] فالله تعالى تحدى العرب والعجم، والانس والجن أن يأتوا بمثله او بسورة من مثله إذ قال تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[2]، فتأثر الاندلسيين بالقرآن امر طبيعي، فهو شأن الامة الاسلامية اجمع، فإن القرآن لم يكن حكرا على قوم دون قوم ولا على فترة زمنية دون اخرى، بل هو خاتم الكتب الالهية، فكان تعميما لبني ادم كلهم، فهو دستور الله الخالد للبشرية، ولم يكن القرآن مجرد كتاب تشريع فحسب، بل هو كلام الله البليغ المعجز الى يوم القيامة[3].

إن كتابا مقدسا هذه مكانته من البلاغة والفصاحة ومنزلته في القلوب واجتماع الأمة حوله لابد أن يأسر الشعراء ويطغي على عقولهم وأن يتأثروا به في شعرهم، وهم في بلاد غير عربية جاؤوا لينشروا الاسلام وتعاليمه، في مجتمع يموج

---

(١) التناص القرآني دراسة في اشكال العلاقة بين الآيات الكريمة، ياسر رضوان، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٢: ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣.

(٣) ينظر: أثر القرآن الكريم في الشعر العربي، شلتاغ عبود شراد، دار المعرفة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٧م: ٤.

بعناصر مختلفة جمعها المكان، فكان فيهم العرب، وكان لثقافتهم وللغتهم السلطان الكامل، لذا كان للأندلس مظهر ادبي وفكري واحد وحدته تلك اللغة السامية، لغة القران الكريم[١]، إن القرآن الكريم فرض الاهتمام به على الحاكم والمحكوم في الأندلس، فالاهتمام بالقرآن الكريم بدأ منذ دخول جيش الفتح الاسلامي للاندلس وقد تطور هذا الاهتمام عن طريق دور العلم والمساجد وقد أخذ صبغة رسمية بعد أن كفلته الدولة واصبح على مراحل اكثر عمقا وتخصصا[٢] ولابد أن يكون الخطيب الديني مثقفا ثقافة دينية واجتماعية وتاريخية وأدبية، ليمتلك قلوب السامعين بطلاوة عباراته، وحلاوة تصويره، وطرافة معانيه، وحداثة موضوعاته، ثم لابد له من اجادة الالقاء[٣]. ((وإذا كان الشخص بالاندلس نحويا او شاعرا فأنه يعظم في نفسه لا محالة))[٤] وكان للاندلس مظهر أدبي وفكري واحد وحدته تلك اللغة السامية لغة القرآن الكريم، لقد انتعشت الدراسات القرآنية في الاندلس، وامتد مداها، وعم انتشارها بين الناس جميعا وفاح عطرها كما اقر ذلك المقري في حديثه عن ولوع الاندلسيين بالتعليم واجلالهم العلماء وقد ذكر أن ((قراءة القرآن بالسبع ورواية الحديث عندهم رفيعة، وللفقه رونق ووجاهة ولا مذهب لهم الا مذهب مالك...، وسمة الفقيه عندهم جليلة، حتى ان الملثمين كانوا يسمون الامير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه... وقد يقولون للكاتب والنحوي واللغوي فقيه لأنها عندهم أرفع السمات))[٥].

ولم تنشأ عند الأندلسيين مدارس خاصة بل ظل المسجد هو المكان المخصص للدراسة، فأن لم يكن المسجد، فبيت الاستاذ نفسه... وكان تدريس الفقه والحديث والعربية هو الشيء الغالب على جماهير المدرسين والمؤدبين، وهم في تدريسهم يعتمدون على الكتاب المشرقي في الغالب؛ ولذلك هاجرت كتب المشارقة الى الاندلس بكثرة وكثرت رحلة

---

(١) ينظر: ابن حزم وموقفه من الالهيات عرض ونقد، احمد بن ناصر الحمد، جامعة ام القرى، الرياض، ١٩٨٣: ١٠٤.

(٢) ينظر: أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الاندلسي من الفتح وحتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ: ١٢.

(٣) فن الخطابة، احمد محمد الخوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع: ١٠١.

(٤) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٢٢٢/١.

(٥) المصدر نفسه: ٢٢١/١.

الاندلسيين الى المشرق في طلب العلم، وكان الواحد يشرف بين بني قومه حين يروي لشيوخ مصر وبغداد وغيرها من بلدان المشرق[١]، ((فالقرآن الكريم مصدر من مصادر الادب الاسلامي، وأول كتاب دون في العربية بلغة تميزت بعذوبة اللفظ ورقة التركيب ودقة الاداء وقوة المنطق وسحر البيان واعجاز البلاغة وجلال الاعجاز الذي جاء به اسلوبه الفذ السهل الممتنع الفريد في التصوير والتعبير، فأثراها بالمعاني، ووسع دائرتها بما اتاه من الفاظ واساليب لم يعرفها العرب ولم يألفوها قبل نزوله))[٢] ((وما لبثت ان ظهرت تلك الالفاظ والاساليب في لغة الشعر والنثر، واخذ الخطباء والشعراء يصوغون اثارهم على هديه، مستمدين مقتبسين من نوره ما يقوم ألسنتهم، ويكفل لهم تنمية الذوق وتربية ملكات البيان واحسان القول واجادته، ولما كانوا يحفظون من اياته ويتلون من محكمها اناء الليل واطراف النهار))[٣] وهكذا كان تأثير القرآن في الشعراء تأثيرا كبيرا و((تختلف نسب التأثير بالقرآن الكريم تبعا للثقافة القرآنية التي يعتمدها هذا الشاعر وذاك ومقدار تواصله برفد تلك الثقافة من الدراسات القرآنية المختلفة، فمنهم من يكون تأثره في جانب معين، والاخر بجوانب اخرى، ولكن المهم أن المؤثر هو القرآن الكريم كان قويا واضحا مستمرا))[٤] ولم يكن القرآن الكريم الرابط المتين للشعر العربي فقط، بل للنثر ايضا فقد حدد ابن الاثير للكتابة خمسة اركان منها: ((أن لا يخلو الكتاب من معنى من معاني القرآن الكريم والاخبار النبوية، فأنها معدن الفصاحة والبلاغة))[٥] وكذلك قسم طريق تعلم الكتابة الادبية الى ثلاث شعب منها: ((ان ينصرف همه الى حفظ القرآن الكريم، والاخبار النبوية وعدد من دواوين فحول الشعراء وممن غلب على شعره الاجادة في المعاني والالفاظ ثم يأخذ في الاقتباس من هذه الثلاثة

---

(١) تاريخ الأدب الاندلسي عصر سيادة قرطبة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت– لبنان، ط١، ١٩٦٩: ٣٨–٣٩.

(٢) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، عبد الهادي الفكيكي، دار النمير للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط١، ١٩٩٦: ٧–٨.

(٣) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي: ٨.

(٤) أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الأندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة ٩٢–٤٢٢هـ: ١٧.

(٥) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ضياء الدين بن الأثير/ تحقيق: احمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، مصر، ١٩٥٩: ٩٦/١.

القرآن، والاخبار النبوية والأشعار...))[1] لذا كان للأندلس مظهر ادبي وفكري واحد وحدته تلك اللغة السامية، لغة القرآن الكريم[2] بمعنى ان الفكر الذي تشكل الادب الاندلسي في اطاره هو القرآن، اما اداته فهي اللغة العربية[3].

مضامين الخطاب الديني القرآني: الاقتباس

الاقتباس في اللغة:

جاء في كتاب العين، ((القبسُ شعلة من نار تقبسها وتقتبسُها أي تأخذ من معظم النار، وقبَسْتُ النارَ، وقبست رجلاً ناراً أو خيراً وقبستُ العِلمَ واقَتَبستُه واقتبستُ العلم فلاناً))[4] وقد ذكر صاحب معجم مقاييس اللغة ذلك قائلا: ((قَبَسَ، القاف والباء والسين اصل صحيح يدل على صفة من صفات النار، ثم يُستعار من ذلك القَبَس: شعلةُ النار))[5]، قال تعالى في قصة موسى (عليه السلام): ﴿لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ﴾[6]، ويقولون: ((أقبست الرجلَ علماً واقبستُهُ ناراً))[7] ويأتي بمعنى الشعلة، يقال: (خُذْ لي قبساً من النارِ ومقبساً ومقباساً، واقبس لي ناراً واقتبس...وتقول: ما أنا الا قبسة من نارك وقبضة من آثارك))[8]، وجاء في التهذيب، ((القَبَسُ شُعلةٌ من نار تقتبسها من معظم، واقتباسها الأخْذُ منها))[9]، قال

---

(١) المصدر نفسه: ١/١٠٠.

(٢) ينظر: ابن حزم وموقفه من الالهيات: ١٠٤.

(٣) ينظر: ظاهرة الانتماء في الادب الاندلسي، عبد الله بن علي بن ثقفان، تونس: ٥١.

(٤) كتاب العين، ابو عبد الله الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، (د.ت)، مادة (قبس): ٨٦/٥.

(٥) ينظر: معجم مقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م، كتاب القاف والباء وما يثلثهما، مادة (قبس): ٤٨/٥.

(٦) سورة طه: الآية ١٠.

(٧) معجم مقاييس اللغة، مادة (قبس): ٤٨/٥.

(٨) اساس البلاغة، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر بن احمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م، مادة (قبس): ٤٧/٢.

(٩) لسان العرب، محمد بن مكرم ابو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، باب القاف، مادة (قبس): ٣٥١٠/١.

تعالى: ﴿بِشِهَابٍ قَبَسٍ﴾[١]، ويقال: قبستُ منهُ ناراً، واقتبستُ منه علماً، أيضاً، أي استفدته[٢] وجاء في القاموس المحيط، ((القبسُ: شُعلةُ نارِ تقتبسُ من معظم النار))[٣]، ويقال هذه حُمَّى قبس لا حمى عرض[٤] والقبسُ: الجذْوَةُ، وهي النارُ التي تأخذها في طرف[٥].

ومن خلال ما تقدم نستنتج ان الاقتباس ورد في المعاجم العربية بمعنى الشعلة من النار، واقتباس العلم.

الاقتباس اصطلاحاً:

الاقتباس: تضمين الشعر او النثر بعض القرآن لا على انه منه[٦]، بألا يقال فيه: قال الله تعالى ونحوه، فأن ذلك لا يكون اقتباسا[٧] والاقتباس عند البلاغيين: ضرب من ضروب علم البديع، الذي يكمل مع علمي المعاني والبيان، قواعد البلاغة وعلومها الثلاث فهو احدها ويشتمل على محسنات لفظية ومعنوية، لتحسين الألفاظ او المعاني بألوان بديعية من الجمال اللفظي والمعنوي[٨].

والاقتباس من حيث القبول والمنع على ثلاثة أقسام:

الأول: ما كان في الخطب والمواعظ والعهود.

الثاني: ما كان في القول والرسائل والقصص.

---

(١) سورة النمل: الآية ٧.

(٢) لسان العرب، باب القاف، مادة (قبس): ٣٥١٠/١.

(٣) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة: ١٢٨١.

(٤) اساس البلاغة، مادة (قبس): ٤٧/٢.

(٥) لسان العرب، مادة (قبس): ٣٥١٠/١.

(٦) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد (ت ٧٣٩هـ) وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٢م: ٣١٢.

(٧) الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م: ٢٣٥.

(٨) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي: ١٣.

الثالث: على ضربين: احدهما ما نسبه الله إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه...، والاخر تضمين آية في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك...[١].

أما موقف العلماء والفقهاء من الاقتباس، فقد أباحه بعضهم وحرمه البعض الآخر ((وقد اشتهر عن المالكية تحريمه وتشديد النكير على فاعله، أما الشافعية: فلم يتعرض له المتقدمون ولا اكثر المتأخرين، مع شيوع الاقتباس في اعصارهم واستعمال الشعراء له قديما وحديثا))[٢].

ان المتتبع لدواوين شعراء بني الاحمر يلحظ ان ظاهرة الاقتباس واضحة وجلية في اشعارهم كما يلحظ تنوع الاقتباس ما بين الاقتباس النصي والاقتباس الاشاري والاقتباس من الحديث الشريف النصي والاشاري والاقتباس من القصص القرآني.

الاقتباس النصي:

وفيه ((يلتزم الشاعر بلفظ النص القرآني وتركيبه))[٣].

وقد يكون الاقتباس النصي بجزء من آية دون الاخلال بنص الجزء المقتطع منها.

ومن الاقتباس النصي من القرآن الكريم في شعر ابن خاتمة الانصاري (ت٧٧٠هـ). قوله :

المنسرح

سافِرْ تَنَلْ بالأسفارِ كُلَّ عُلا ... وَتَشْتَفَ النفسُ مِن مآربها

لَوْ لَمْ تَكُنْ في الأسفار فائدةٌ ... إلا امْتِثالَ ((امْشوا في مَناكِبها)) [٤]

---

(١) الاتقان في علوم القرآن: ٢٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٥.

(٣) الاتقان في علوم القران: ٢٣٥.

(٤) ديوان ابن خاتمة الانصاري احمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الانصاري الاندلسي (ت٧٧٠هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م: ١٦٣.

وهنا الشاعر يقول لو لم تكن في الاسفار فائدة الا امتثال الاية الكريمة لكان ذلك كافيا للدلالة على فائدة السفر فحذف جواب لو لانه مفهوم من السياق وقد اقتبس الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾[1]، فالله تعالى قد سخر الارض وبسطها لخلقه لينتفعوا بها وجعلها مذللة ميسرة لهم فأمرهم بأن يسعوا فيها لطلب الرزق.

ومن الاقتباس النصي من القرآن الكريم في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) قوله (مادحا أبا الحجاج)[2] (ت٧٥٥هـ):

الطويل

ومَا العُمرُ إلا زِينَة مُستَعارَةَ تُردَّ ولكِنّ الثَناءِ هوَ العُمرُ

وإنْ زَحَفوا مِنْ دون رَايةِ يُوسُفٍ تَقولُ تعالى مَنْ ((لَهُ الخَلقَ والأمرُ))[3]

فابن الخطيب في عجز بيته الثاني اقتبس جزء من قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[4]، فابن الخطيب اراد من خلال اشارته لهذا الجزء من الاية ان يبين ان الامر امر الله سبحانه وتعالى، فالله عز وجل يقضي ان تكون الراية لممدوحه ابي الحجاج وهو يمتثل لامر رب العالمين لذا عمد الشاعر في هذه الابيات ان يضفي لممدوحه بعض الصفات الدينية والالتزام الخلقي والديني.

من الاقتباس القرآني النصي في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). قوله:

الخفيف

---

(١) سورة الملك: الآية ١٥.

(٢) ابو الحجاج: يوسف بن اسماعيل بن فرج بن اسماعيل بن يوسف بن نصر الانصاري الخزرجي تولى الملك بعد اخيه بوادي السقايين من ظاهر الخضراء عام ثلاثة وثلاثين وسبعمائة، الاحاطة في اخبار غرناطة: ٣١٨/٤.

(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني (ت ٧٧٦هـ): ٤٠٠/١.

(٤) سورة الاعراف: الاية ٥٤.

شَــوقُ نَفســي إلــى كَلامِــكَ يَحكــي نـــــارَهُ للجحـــــيمِ ذاتِ الوَقـــــودِ

فــإذا قِيــل هــل تَمــالأتِ قَالَــت في جَوابِ السؤالِ ((هل من مزيدِ))[1]

فالشاعر هنا اقتبس جزء من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾[2].

فابن الخطيب يتشوق لسماع كلام هذا الاديب ويشبه ذلك بنار جهنم كلما امتلأت تقول هل من مزيد وهنا نجد ثقافة ابن الخطيب الدينية واضحة ومقدرته على ادخال النص القرآني في شعره.

ومن الاقتباس القرآني النصي في شعر ابن جابر الاندلسي(ت٧٨٠هـ). قوله:

الطويل

بالعَــدوَةِ الــدُنيا نزلنــا بحيــث قــد اقــامَ رســول الله ينتظــرَ النصــرا[3]

وهذا البيت فيه اشارة صريحة إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ أَنتُم بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُم بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لاَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[4].

---

(١) ديوان لسان ابن الخطيب: ٣٣٠/١.

(٢) سورة ق: الآية ٣٠.

(٣) ديوان ابن جابر الاندلسي محمد بن احمد بن علي الضرير، جمعه احمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧: ٨٠.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٤٢.

وقد قصد ((بالعدوة الدنيا)) شفير الوادي الأدنى إلى المدينة، وقد ذكر الله تعالى عباده يوم بدر إذ فرق بين الحق والباطل ونصر رسوله[١].

وفي البيت السابق ذهب ابن جابر الى الاشارة الى تلك الاية الكريمة في معرض زيارته لمكة، ثم قدم الجار والمجرور (بالعدوة الدنيا) للتخصيص المكاني، ثم اضاف حيث الطرفية الى الجملة التي بعدها وهي من دلائل التقييد الاشاري الى تلك الحادثة وهي غزوة بدر التي غيرت مجرى التاريخ.

ومن الاقتباس القرآني في شعر ابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ). قوله:

السريع

يـــا صـــاحبَ المـــالِ أَلَـــمْ تَسْـــتَمِع لِقولِـــهِ ((مـــا عِنـــدَكُم يَنفَـــدُ))
فاعمَـــل بـــهِ خَيـــراً فـــواللهِ مـــا يَبقـــى ولا أَنـــتَ بِـــهِ مُخلـــدُ[٢]

فالشاعر قد اقتبس ذلك من قوله تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ﴾[٣]، فهو يحث على انفاق المال في سبيل الله لأن هذا المال لابد أن ينفد ناصحاً صاحبه بالإنفاق وذلك لأن صاحبه لن يخلد في هذه الدنيا، فمن ينفق في سبيل الله يجد له الثواب في الاخرة.

ومن الاقتباس القرآني النصي في شعر ابن زمرك (ت٧٩٧هـ). قوله:

الكامل

أوَلَـــيسَ جَـــدُكُمُ اللـــواءُ بِكفـــهِ والفَـــتحُ اعظـــمُ مـــا تكـــونُ وأكبَـــرُ
إنَّـــا فَتَحنـــا أُنزِلـــت فـــي وَصـــفِهِ وكَفـــى بهـــا ذِكـــرى لِمـــن يتـــذكرُ[٤]

(١) ينظر: جامع البيان عن تأويل القرآن، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة: ٥٦٣/١٣.
(٢) ديوان ابن جابر الاندلسي: ٣٥.
(٣) سورة النحل: الآية ٩٦.
(٤) ديوان ابن زمرك الاندلسي (ت ٧٩٧هـ): ٤٦.

وقد اقتبس الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1]، واشار الشاعر الى ان ممدوحه من نسل سعد بن عبادة في قوله "جدكم" وهو اشارة الى سعد بن عبادة وقد كان مع الرسول (ﷺ) عند فتح مكة وقد نزلت هذه فيه، ويقصد (بنزلت) في وصفه أي وصف سعد بن عبادة وكان من الانصار وقد كلفه النبي (صلى الله عليه وسلم) بحمل الراية يوم فتح مكة فالشاعر اراد ان يذكر ان ممدوحه من نسل صحابة الرسول (ﷺ) الذين ساندوه ونصروه ودافعوا عنه ليضفي عليه النسب الشريف إذْ يقول ابن زمرك (ت٧٧٩هـ).

الكامل

عُـوِّدْت نَصـرَ الله يـا مَلِـكَ الهُـدى وهـوَ الجَـزَاءُ لقولـهِ (إن تنصُـرُوا)[2]

في هذا البيت اشارة الى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾[3].

في هذا البيت اشارة خفية بجزء من اية، وقد اراد الشاعر من خلال هذا البيت ان هذا الملك الممدوح عود نصر الله وهو دلالة على انه من اهل الصلاح والتقوى وهو نوع من الكناية.

ومن الاقتباس القرآني النصي في شعر ابي الحجاج يوسف الثالث ملك غرناطة (ت٨٢٠هـ). قوله:

الخفيف

مـا علـيكم مـن محنتـي وشـقائي حَصـحَصَ الحـق لا تزدنـي لمـا بـي

مسـني الضُّـر إذ هجـرت فصِـلني قد عُذب لـي أن كنـت تهوى عـذابي[4]

في البيتين اقتباسين:

---

(١) سورة الفتح: الآية ١.

(٢) ديوان ابن زمرك: ٤٥.

(٣) سورة محمد: الآية ٧.

(٤) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ١٠.

الأول من قوله تعالى: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ﴾[1].

والثاني من قوله تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[2].

فالشاعر في هذين البيتين يطلب العون من الله تعالى على الضر الذي اصابه وذلك بعد ان فقد ملكه واهله ومحبوبته وهجرانها له، ثم انه ينتظر الفرج كما انتظره سيدنا أيوب (عليه السلام) بعد ان دعا ربه انه مسه الضر، فاستجاب الله له وانجاه منه.

الاقتباس الاشاري:

((وهو أن يأخذ الشاعر من القرآن الكريم ما يشير به الى آية او آيات منه، من غير الالتزام بلفظها وتركيبها))[3].

وأن استعمال الشاعر لهذا النوع من الاقتباس يدل على ذكاء الشاعر وقدرته على توظيف النص القرآني من خلال شعره.

ومن صور الاقتباس الاشاري عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر ابن سهل الاندلسي (ت٦٤٩هـ). قائلاً:

السريع

أبطلَ موسى السحرَ فيما مضى وجاءَ موسى اليوم بالسحر[4]

وفي البيت اشارة الى قوله تعالى: ﴿قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى ﴿*﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿*﴾ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾[5].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥١.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٨٣.

(٣) الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي: ١٣.

(٤) ديوان ابن سهل الاندلسي: ٣٥.

(٥) سورة طه: الاية ٦٨-٦٩-٧٠.

الشطر الأول من البيتين فيه اشارة الى قصة سيدنا موسى (عليه السلام) وسحرة فرعون اذ أبطل الله سحرهم على يد نبيه موسى (عليه السلام)، اما موسى الذي ورد اسمه في الشطر الثاني فهو محبوبه الذي يتغزل فيه.

ومن الاقتباس القرآني الاشاري في شعر ابن الابار القضاعي (ت٦٥٨هـ). قوله:

الوافر

إذَا نَزَلَـــتْ بِسَـــاحَات الأَعـــادي صَـــباحاً لَـــمْ يُلَبّثُهـــا الضُّـــحَاء[١]

في البيت إشارة الى قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاء صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾[٢].

هنا شبه الشاعر خيل الممدوح بالعذاب الذي يصفه الله تعالى في الآية فإنَّ هذا العذاب إذا نزل بالكفار فلا يصلون للضحى، وكذلك تلك الخيل التي تغير عليهم إذا نزلت بهم صباحا لم يصلوا الى الضحى، وذلك لشدة بأسها وقوتها.

ومن الاقتباس القرآني الاشاري في شعر لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ). قوله:

الطويل

ولله عِيـــــدٌ فاتَحتـــــكَ سُـــــعودُهُ تُحَييـــكَ بـــالفَتح القريـــبِ وبالنصـــرِ

ولله مِـــنْ صَـــومٍ قَضـــيتَ حقوقَـــهُ وزَودتُـــهُ المَتلـــوَّ مِـــنْ مُحكَـــمِ الـــذكرِ

وَصـــلتَ بـــهِ لَيـــلَ التَّمـــامِ بيومـــهِ وناجَيـتَ مِنـهُ الـرَّوحَ فـي ليلـةِ القَـدرِ[٣]

ففي قول الشاعر ((تحييك بالفتح القريب وبالنصر)) اقتباس من قوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ﴾[٤]، ففي هذه الآية التي تشير الى النصر الذي منَّ الله تعالى به على المسلمين يوم بدر، فقد وظف ابن الخطيب هذه الآية في شعره باستعمال ألفاظ واضافة الفاظ اخرى من عنده، وقدم وأخر وكل ذلك يعود الى الوزن الشعري لكي يلائم المعنى، ثم ينتقل الشاعر للتعبير عن بعض صفات ممدوحه من صيام شهر رمضان وأداء ما عليه من حقوق

---

(١) ديوان ابن الابار: ٤٩.

(٢) سورة الصافات: الآية ١٧٧.

(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٣٧٧/١.

(٤) سورة الصف: الاية ١٣.

وواجبات في هذا الشهر من قراءة القرآن وقيام الليل بما فيه من قيام ليلة القدر ونجد ذلك في عجز بيته الثالث حيث يشير الى قوله تعالى: ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾[1].

هذه الأبيات تدل على مدى ثقافة ابن الخطيب الدينية وقدرته وبراعته الشعرية، كيف لا وهو ((الوزير العلامة المتحلي بأجمل الشمائل وأفضل المناقب المتميز في الأندلس بأرفع المراقب وأعلى المراتب، علم الاعلام ورئيس أرباب السيوف والأقلام، جمع أشتات الفضائل، والمربي بحسن سياسته، وعظيم رياسته على الأواخر والأوائل حائز رتبة رياسة السيف والقلم))[2].

ومن الاقتباس القرآني في شعر ابن جابر الأندلسي (ت٧٨٠هـ). قوله:

الطويل

على مَسَاقِ ونظم ليس من بشرِ فللمُعارضِ تعجيزٌ وتخذيلُ
والعُربُ عن سُورةٍ من مِثلِهِ عَجَزوا في وفرَهم وهُمُ اللُسنُ المقاويلُ[3]

ففي قول الشاعر إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[4].

فالله تعالى تحدى العرب بأن يأتوا بسورة من مثله لكنهم مع فصاحتهم وبلاغتهم التي عرفوا بها عجزوا أن يأتوا بمثله وهذا دليل على ان القرآن الكريم معجزة الله تعالى التي حملها نبيه محمد (ﷺ) لتكون دليل صدقه، فابن جابر كغيره من الشعراء أكثر من الاتكاء على معاني القرآن وتراكيبه وهذا يدل على ثقافته الدينية وقد كان تأثير القرآن الكريم واضحا في شعره وقد اقتبس ابن جابر كثيرا من الايات القرآنية ووظفها في تجربته الشعرية في اغراض مختلفة.

ومن الاقتباس القرآني الاشاري في شعر ابن زمرك (ت٧٩٧هـ). قوله:

---

(١) سورة القدر: الآية ٣.
(٢) نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب: ٧٦/٥.
(٣) ديوان ابن جابر الاندلسي: ١٠٨.
(٤) سورة البقرة: الآية ٢٣.

عُــودت نَصــرَ الله يــا مَلِــكَ الهُــدى وهــوَ الجَــزَاءُ لقولــهِ ((إنْ تَنْصــروا))[١]

في هذا البيت إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ [٢].

في هذا البيت إشارة خفية بجزء من آية، وقد أراد الشاعر من خلال هذا البيت أنَّ هذا الملك الممدوح عود نصر الله وهو دلالة على أنه من أهل الصلاح والتقوى.

ومن الاقتباس القرآني الاشاري في شعر يوسف الثالث ملك غرناطة (ت٨٢٠هـ).

قوله: الخفيف

نَحــــن قَــــومٍ إلـــــى المنايـــــا خِفافـــــاً وثقـــــالاً علـــــى الأعـــــادي كبـــــاراً [٣]

وهنا اقتباس من قوله تعالى: ﴿انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [٤].

ذكر الشاعر لفظتان، خفافا وثقالا وقد بين دلالتهما فربط الاولى خفافا بالموت فهم قوم يقبلون على الموت في سرعة وخفة فهم لا يرهبون، والثانية ثقالا ذلك ان وطأتهم على الاعداء ثقيلة.

وقد عمد الشعراء الى الاقتباس من القرآن الكريم سواء كان اقتباسا نصيا ام اشاريا ذلك لأن ((القرآن الكريم معجزة الرسول (ﷺ) العظيمة كان وما يزال المعين الذي يقبس منه الشعراء والادباء الفاظهم وصورهم متمثلين بآياته الكريمة في مخاطباتهم وأشعارهم))[٥].

إن المتلقي عندما يحس أن الشاعر استمد الفاظه واشعاره من القرآن الكريم يشعر بثراء ذلك الشعر وقيمته الفنية والجمالية، لأن القرآن معجزة في كل شيء، لذا فلا غرابة ان يمتلك

---

(١) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ٨٦.

(٢) سورة محمد: الآية: ٧.

(٣) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ٨٦.

(٤) سورة التوبة: الآية ٤١.

(٥) الاقتباس من القرآن الكريم: ٢٧.

الشعر هذه الجمالية عند اقتباسه من القرآن الكريم[١] وقد وجد الثعالبي ان الاقتباس من القرآن الكريم ظاهرة عامة في الأدب العربي[٢] ولم يكن شعراء الاندلس بعيدين عن الاقتباس القرآني في شعرهم شأنهم شأن شعراء المشرق فقد لجأوا اليه لتقوية معانيهم واضفاء الصبغة الدينية لشعرهم، والمتتبع لدواوين شعراء بني الاحمر يلحظ ان ظاهرة الاقتباس واضحة وجلية في اشعارهم كما يلاحظ تنوعه.

وأما فيما يخص الاقتباس من قصص القرآن الكريم فالله تعالى لم يعتمد أسلوباً واحداً لإيصال رسالته الى الناس، بل تعددت اساليبه وتنوعت ((وقد خضعت القصة القرآنية في موضوعها، وفي طريقة عرضها وادارة حوادثها، لمقتضى الأغراض الدينية))[٣]، لذا فإن القصة القرآنية تنفرد بمزايا عن غيرها من القصص الانسانية ومنها أن القصص القرآني أصدق القصص، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ حَدِيثًا﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾[٥]، فالقصة القرآنية تمتاز بسمو الغاية، وشرف المقصد وصدق الكلمة والموضوع وتحري الحقيقة ((كان من اغراض القصة في القرآن اثبات وحدة الاله، ووحدة الدين، ووحدة الرسل، ووحدة طرائق الدعوة))[٦] وقد اندفع الشعراء العرب في استلهام القصة القرآنية في شعرهم مستفيدين مما تتضمنه من معاني ادبية وبلاغية ومثل عليا وآداب رفيعة، فضلا عما تحمله من معاني ادبية وبلاغية؛ لأن القرآن في اسلوبه ((أداة للتأثير الوجداني فيخاطب حاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية))[٧] وشعراء الاندلس كغيرهم من شعراء

---

(١) ينظر: القيم الجمالية في الشعر الاندلسي عصري الخلافة والطوائف، أزاد محمد كريم الباجلاني، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م: ٢٩٨.

(٢) ينظر: الاقتباس من القرآن الكريم، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م: ٢٧.

(٣) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة: ١٤٣.

(٤) سورة النساء: الآية ٨٧.

(٥) سورة آل عمران: الآية ٦٢.

(٦) التصوير الفني في القرآن: ١٧١.

(٧) المصدر نفسه: ١٤٣.

العرب تأثروا بالقصة القرآنية ووظفوها في شعرهم واصبحت منبعا ينهلون منه في خيالاتهم وابداعاتهم.

ومن الاقتباس لقصص القرآن عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر ابن الابار (ت٦٥٨هـ). إذ يقول:

الطويل

وعُجِّــلَ عِجــلٌ سُــنَةً فَــارِضُ القِــرَى حَنيــذٌ وعــدناهُ فمــا اســتأخرَ الوَعــدُ

....

فــــلا وأبينــــا مــــا أبَينــــا كضــــيفهِ تَناوُلَــهُ بــل ســابَقَ الراحــةَ الزنــدُ[1]

ففي البيتين اشارة الى قصة سيدنا ابراهيم (عليه السلام) وأنه سنَّ سنة الذبح للضيوف، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُواْ سَلاَمًا قَالَ سَلاَمٌ فَمَا لَبِثَ أَن جَاء بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿*﴾ فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لاَ تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُواْ لاَ تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ﴾[2].

وهنا يشير ابن الابار بأن ضيوف ابراهيم لم يأكلوا وذلك لانهم ملائكة، اما هم فقد اكلوا وتسابقوا وذلك في قوله (سابق الراح الزند) كناية عن الاسراع الى الاكل.

(١) ديوان ابن الابار القضاعي: ١٦٠.

(٢) سورة هود: الآية ٦٩-٧٠.

ومن الاقتباس لقصص القرآن في شعر لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ). قوله:

الكامل

فـي مِصـرَ قلبـي مـن خَـزائِنِ يوسـفٍ حُـــبَّ وعِيـــرُ مَـــدائحي تمتـــارُهُ[١]

فابن الخطيب في هذا البيت يصور حبه ووفاءه لممدوحه وقد وظف ابن الخطيب قصة يوسف وحفاظه على خزائن الارض في مصر مستوحيا قوله تعالى: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٢].

فابن الخطيب في هذا البيت يؤكد أنه حفيظاً ومخلصاً للسلطان كما كان يوسف (عليه السلام) حفيظاً ومخلصاً لملك مصر عندما جعله على خزائن الارض.

ومن القصص التي جاء الحديث عنها، والتي وظفها ابن الخطيب في شعره قصة سيدنا يوسف (عليه السلام) فهي من ابرز القصص القرآني وهي قصة ذات أبعاد تصويرية تحمل دلالات عظيمة وقد حظيت هذه القصة باهتمام شعراء الاندلس، فتأثروا فيها كثيرا لوجود التشابه بين احداثها والاحداث التي دارت في بلادهم، فلجأوا اليها لتقوية معانيهم بأمثلة لها قوة دينية في المجتمع الإسلامي[٣].

والمتتبع لشعر ابن الخطيب يلحظ ان اكثر شيء استوحاه من قصة يوسف (عليه السلام) حزن يعقوب (عليه السلام) ذلك الحزن الشديد الذي كابده الكثير من الألم حتى ابيضت عيناه بسبب البكاء الدائم والمفرط ذلك الحزن الذي قيل عنه انه يعادل حزن سبعين ثكيلا[٤].

---

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٣٧٤/١.

(٢) سورة يوسف: الآية ٥٥.

(٣) ينظر: أثر القرآن في الشعر العربي، دراسة في الشعر الاندلسي من الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ: ١١١.

(٤) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر الطبري ٣١٠هـ، تحقيق: احمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م: ٢٢٩/١٦.

فنجد ابن الخطيب يشبه حاله وحال اهل غرناطة عندما غاب ابو الحجاج عن دار ملكه بمدينة ما لقة بحال يعقوب (عليه السلام) عندما غاب عنه يوسف (عليه السلام). فيقول:

البسيط

تقـــولُ غُرناطـــةٌ يومـــاً لمالقـــةٍ لمـــا اســـتراحتْ لوعـــدٍ منـــكَ مرقـــوبِ
أمســكتِ يوســفَ عنــي فعــلَ ظالمــةٍ فهــل لــي اليــومَ إلا حــزنُ يعقــوبِ[1]

ومن الاقتباس لقصص القرآن في شعر ابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ). قوله:

الكامل

سُــبْحَانَ مَــنْ أسْــرَى بِــهِ مِــنْ بيَتِــهِ لِلمَسْــجِدِ الأَقْصَــى بِلَيْــلٍ قَــدْ دَجَــا
رَكِــبَ البُــرَاقَ وَجَــالَ سَــبْعَ طِباقِهَــا فِــي لَيْلَــةٍ وَدَنَــا وَبُلِّــغَ مَــا ارْتَجَــى[2]

وقد اقتبس الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[3].

وقد وظف ابن جابر قصة الاسراء والمعراج في شعره لبيان مكانة الرسول (ﷺ) وما خصه الله تعالى به من صفات دون بقية الرسل وكانت هذه احدى معجزات الرسول (ﷺ) وكانت دليلا على نبوته.

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ١/١٤٥.
(٢) ديوان ابن جابر الأندلسي: ٣٢.
(٣) سورة الاسراء: الآية ١.

الاقتباس من الحديث النبوي الشريف:

عمد الشعراء إلى الاقتباس من الحديث النبوي الشريف وذلك لإظهار حبهم للنبي (ﷺ) وهذا كثير في اشعارهم ومن صور الاقتباس من الحديث النبوي الشريف ما نجد في شعر شعراء بني الاحمر فقد عمد هؤلاء الشعراء الى الاقتباس من الحديث الشريف وذلك لإظهار حبهم للنبي (ﷺ) واضفاء صبغة دينية على اشعارهم وذلك لتعلق الناس بالنبي (ﷺ) فعمد هؤلاء الشعراء إلى الاقتباس من الحديث النبوي الشريف، ويمكن تقسين الاقتباس من الحديث النبوي الشريف إلى اقتباس نصي اقتباس إشاري.

ومن صور الاقتباس النصي ما نجده في شعر ابن الابار(ت٦٥٨هـ). قائلاً:

البسيط

دَع مـا يُريـب إلـى مـا لـيسَ بالريـب فَـــذا يَبوئـــكَ العَليـــا مِـــنَ الرتـــبِ

واعمِـد إلـى سُـبل الخَيـراتِ مُنتهجـاً لهـا لتَسـعَدَ فـي حـالٍ ومنقلَـبِ [1]

ففي هذه الابيات اقتبس الشاعر ذلك من حديث الرسول (ﷺ): ((دع ما يريبك الى ما لا يريبك، فأن الخير طمأنينة، وأن الكذب ريبة))[2].

في هذه الابيات يدعو الشاعر الى ترك الشك والريب ويحث على سلك طرق الخير لكي يسعد في حياته فكلما كان الانسان صادقا اطمأن في حياته اما الكاذب فأنه يكون دائما قلقا خائفا.

ومن الاقتباس النصب من الحديث النبوي الشريف ما نجده في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). قوله:

الكامل

---

(١) ديوان ابن الابار القضاعي: ٧٦.

(٢) المستدرك على الصحيحين، ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، كتاب البيوع، برقم ٢١٦٩، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م: ١٥/٢.

(مَطْـلُ الغنـيَ ظلـمُ) فَفـيمَ ظَلمتَنـي ولَوَيـتَ دَينـي عَـن وجـودِ يسـارِ[1]

ومن الاقتباس من الحديث الشريف في شعر ابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ). قوله:

الطويل

حيـاءُ المـرءِ يزجـره فيخشـى فَخَـفْ مِـن لا يكـون لـهُ حيـاءُ
فقـد قـال الرسـولُ بـأنَّ ممـا بـه نطَـق الكـرامُ الأنبيـاءُ
(إذا أنـت لـم تسـتحِ فاصـنع) كمـا تختـارُ وافعـل مـا تشـاءُ[2]

وقـد اقتـبس الشـاعر ذلـك مـن حـديث الرسـول (ﷺ) عـن ابـن مسـعود عقبـة بـن عمـرو الانصـاري (رضي الله عنه) قـال: قـال رسـول الله (ﷺ): ((إن ممـا ادرك النـاس مـن كـلام النبوة الاولى، إذا لم تستحِ فاصنع ما شئت))[3].

فالشـاعر اراد ان يبـين ان المـرء إذا لـم يسـتحِ صَـنعَ مـا يشـاء لهـذا فـأن المـانع هـو الحياء فمن لم يكن له حياء فعل ما يشاء.

فالشـاعر يؤكـد علـى ان الحيـاء هـو الـذي يمنـع انـاس مـن القيـام بالاعمـال السـيئة فأن لم يكن هناك حياء فعل ما يشاء.

ومن الاقتباس الإشاري من الحديث الشريف في شعر ابن خاتمة الأنصاري (ت٧٧٠هـ). قوله:

البسيط

إذا وَجَـدتَ فَجُـد للنـاسِ قاطِبـةً فالحـالُ تَفنـى ويبقـى الـذكرُ أحـوالاً
لاسـيما ورسـولُ اللهِ ضـامِنُهُ أنفـق ولا تخـشَ مـن ذي العـرش إقـلالاً[4]

اقتبس الشاعر ذلك من حديث النبي (ﷺ): ((أنفق يا بلال ولا تخش من ذي العرش اقلالا))[1].

---

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٣٦٨/١.

(٢) ديوان ابن جابر الاندلسي: ١٧.

(٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (ﷺ)، صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصري، دار طوق النجاة، كتاب صحيح البخاري، باب حديث الغار برقم (٣٤٨٣)، ط١، ١٤٢٢هـ: ١٧٧/٤.

(٤) ديوان ابن خاتمه الانصاري: ١٥٦-١٥٧.

فالشاعر يؤكد على العطاء وبذل المال والحض عليهما لأن المال يذهب ويفنى ويبقى ذكره عند الناس، فالرسول(ﷺ) قد ضمن ان الذي ينفق في سبيل الله لا يخشى الاقلال من عند الله فالله تعالى غني حميد.

وقد اقتبس الشاعر ذلك من حديث الرسول (ﷺ): ((مطلُ الغني ظُلم))[٢].

وهنا يعاتب ابن الخطيب ممدوحه ابا الحجاج لتأخير عطاياه له مضمناً البيت حديث الرسول (ﷺ)، ليذكر ممدوحه بأن الرسول (ﷺ) قد نهى عن المماطلة أي تأخير الغني عن قضاء ما عليه، وأنه ان فعل ذلك فهو من الظالمين.

أما التضمين لغة واصطلاحاً.

فالتضمين لغة

جاء في معجم مقاييس اللغة: ((الضاد والميم والنون اصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه، ومن ذلك قولهم: ضمَّنتُ الشيء، إذا جعلته في وعائه، والكفالة تسمى ضمانا من هذا، وكأنه إذا ضمنه فقد استوعب ذمته))[٣].

وضمن الشيء، أي اودعه اياه، كما تودع الوعاء المتاع والميت القبر، ويقال: ((ضمن الشيء بمعنى تضمنه ومنه قولهم مضمون الكتاب كذا وكذا))[٤] وضمن الشيء كفله، فهو ضامن وضمين وما جعلته في وعاء فقد ضمنته اياه[٥].

---

(١) شعب الايمان، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخرساني ابو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، كتاب شعب الايمان، باب فصل في زهد النبي (ﷺ) برقم (١٣٩٣)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م: ٦٠/٣.

(٢) المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج ابو الحسن النيسابوري (ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني برقم (٢٢٨٧)، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت): ١٩٧/٣.

(٣) معجم مقاييس اللغة، مادة (ضمن): ٣٧٢/٣.

(٤) لسان العرب، ابن منظور، مادة (ضمن): ٢٦١٠/١-٢٦١١.

(٥) ينظر: القاموس المحيط، مادة (ضمن): ٩٨٣.

التضمين اصطلاحا

هو: ((أن يضمن الشاعر شعره شيئا من شعر غيره، مع التنبيه عليه انه لم يكن مشهورا عند البلغاء))[١] واالتضمين: ((استعارتك الانصاف والابيات من شعر غيرك، وادخالك اياه في اثناء أبيات قصيدتك))[٢] ويعرف صاحب كتاب العمدة التضمين بقوله: ((هو قصدك الى البيت من الشعر او القسيم فتأتي به في آخر شعرك او في وسطه كالمتمثل))[٣].

والتضمين ظاهره بارزة لدى شعراء الاندلس عامة وشعراء بني الاحمر خاصة، وكان السبب في ذلك هو اعجاب شعراء الاندلس بكبار شعراء العرب في المشرق امثال المتنبي والبحتري وغيرهم من كبار الشعراء حتى ان شعراء الاندلس لقبوا باسماء شعراء المشرق لشدة اعجابهم بهؤلاء الشعراء ولا ننسى ان الشعر الاندلسي هو امتداد للشعر المشرقي.

ومن روعة التضمين انه ((يزداد به الكلام حلاوة، يكسب به رونقا وطلاوة، ولاسيما اذا كان التضمين بآيات من القرآن الكريم فأنها تكون في الكلام كالشاهد له، والمنادية على سداده))[٤].

---

(١) ينظر: بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الأدب، القاهرة، ١٩٩٩: ١١٩/٣.

(٢) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م: ٣٦.

(٣) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ): ٨٤/٢.

(٤) الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الاثير الجزري، تحقيق: مصطفى جواد، جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م: ٢٣٢.

التضمين من الشعر:

ومن صور التضمين في الشعر ما نجده في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). قوله:

الوافر

بَنِي الدُّنْيَا بَنِي لَمْعِ السَّرَابِ ((لِـدُوا لِلْمَـوْتِ وَابْنُـوا لِلْخَـرَابِ))[١]

وقد ضمن ابن الخطيب ذلك من قول ابي العتاهية. قوله:

الوافر

لِـدوا لِلمَـوتِ وَابنـوا لِلخَـرابِ فَكُلُّكُـمُ يَصـيرُ إِلـى ذَهـابِ [٢]

وقد وظف ابن الخطيب انصاف الابيات واراد من خلال ذلك الوصول الى حتمية الموت التي وصل اليها ابو العتاهية واراد من ذلك ان الموت لاحق بكل حي، وأن الخراب يطال كل بناء، وما يبقى الا العمل الصالح، وهذا يدل على المعاني الزهدية والدينية لابن الخطيب لنهاية الحياة.

التضمين من الأمثال:

ومن تضمين الشعر من الامثال قول ابن خاتمة الانصاري (ت٧٧٠هـ). قائلاً:

المتقارب

لِسـانُك كالسَّـيفِ فـي شَـكْلِهِ أعْـدى مِـنَ السَّـيفِ فـي سَـطوتِهْ

فأغمِـدْ ظُبـاهُ فَقَـد يُتَّقَـى عَلـى حامِـلِ السَّيفِ مـن شـفرَتِهْ [٣]

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ١٦١/١.

(٢) ديوان ابي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م: ٤٦.

(٣) ديوان ابن خاتمة الانصاري: ١٥٩.

وقد ضمن الشاعر شعره من المثل الذي يقول: (مقتل الرجل بين فكيه)[1].

فالشاعر يشير إلى ان مقتل الرجل قد يكون بسبب اللسان، ويجوز ان يجعل موضع القتل، أي بسببه يحصل القتل، ويجوز ان يكون القاتل، فالمصدر ينوب عن الفاعل، كأنه قال: قاتل الرجل بين فكيه.

ومن تضمين الشعر للأمثال قول لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). إذ يقول:

الخفيف

مَــنْ كعَمَــرو مُغنــي البَــراجِم والمُــدْ نِ وَقَــدْ أُلقِحَــتْ حُــرُوبُ الشــدادِ[2]

وقد ضمنه الشاعر ذلك المثل القائل: (إن الشقي وافدَ البراجم)[3].

وهـذا المثـل لعمـرو بـن هنـد الملقـب بـالمُحرق، وكـان سـويد بـن ربيعـة التميمـي قتـل اخـاه وهـرب، فـأحرق بـه مائـة مـن تمـيم، تسـعة وتسـعين مـن بنـي دارم وواحـدا مـن البراجم، فصار هذا المثل يضرب لمن يوقع نفسه في هلكة طمعا.

ونلاحظ ان الشعراء ولاسيما في عصر بني الاحمر قد اكثرو من تضمين شعرهم من الامثال، ومن اجل هذا عَظّم العرب شأن الامثال وكثر ذكرها وتوظيفها في الشعر، وبما ان الشعر الاندلسي هو امتداد للشعر المشرقي فكان من البديهي ان يتأثر هؤلاء بالأمثال كونها من التراث ويضمونها في شعرهم بشكل يتناسب مع اغراضهم.

ومن تضمين الشعر للأمثال قول ان جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ). قائلا:

الطويل

سـلوني علـى المـرءِ الخبيـر سـقطتُم فأحوالــهُ فــي الصــالحينَ عجــابُ[4]

---

(١) مجمع الامثال، ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت– لبنان: ٢٦٥/٢.

(٢) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٢٩٥/١.

(٣) مجمع الامثال: ٩/١.

(٤) ديوان ابن جابر الاندلسي: ٢٠.

وقد ضمن الشاعر ذلك من المثل القائل (على الخبير سقطت)[1].

((فالخبير العالم، والخُبْرُ العلم، وسقطت: أي عثرت، فقد عبر عن العثور بالسقوط؛ لأن من عادة العاثر أن يسقط على ما يعثر به))[2].

فالشاعر يوظف هذا المثل في شعره مع تصريف طفيف اذ ورد النص في كتاب الامثال (على الخبير سقطت) واورده الشاعر في البيت بلفظ (على المرء الخبير سقطتم).

وهذا يدل على مقدرة الشاعر وتمكنه وقد افاد ابن جابر في شعره من الامثال العربية وقد وظفها في شعره.

ومن خلال ما تقدم نجد ان الشعراء ولاسيما في عصر بني الاحمر قد ضمنوا اشعارهم من الامثال العربية آخذين منها ما يمنح تجربتهم الشعرية الايحاء والتأثير مظهرين البراعة في تعاملهم مع تراثهم الادبي.

(١) مجمع الأمثال: ٢/٢٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢/٢٤.

المبحث الثاني

مضامين الخطاب الديني النبوي

تأثر الشعراء في كل عصر بالقرآن الكريم، كما تأثروا بحديث الرسول (ﷺ) لذا كثر في اشعارهم الاستشهاد بأحاديث واقوال الرسول (ﷺ)، فكان التأثير ظاهرا في اشعارهم، فالنبي (ﷺ)كان خير مثال يحتذى به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾[1]، ففي الآية الكريمة دلالة على فضل الاقتداء بالنبي (ﷺ)وأنه الأسوة الحسنة التي يقتدى بها، فتأثر شعراء العرب بالنبي (ﷺ) وسيرته العطرة كما تأثروا بسيرة الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم) في الدفاع عن الاسلام ونشره والحديث عن عدالتهم ومكانتهم، ثم جاء عصر بني الاحمر فافتخروا بنسبهم الذي يرجع الى صحابة رسول الله (ﷺ)ومنهم سعد بن عبادة (رضي الله عنه) ولما ((كان القرآن الكريم المصدر الأول في تكوين الشخصية الإسلامية فكراً وثقافة ومعتقدات، لذا فأن سنة الرسول (ﷺ) تمثل التطبيق العملي لما انزله الله تعالى في القرآن، وذلك لأن مهمة الرسول (ﷺ) التبليغ والبيان بالقول، والتطبيق العملي للأوامر التي قد تحتاج الى تطبيق عملي كأركان الاسلام وغيرها، ومن هنا تأتي اهمية السنة النبوية فالمسلم لا يستغني بالقرآن عن السنة النبوية لأن القرآن اشتمل على مبهمات وجب بيانها، واشتمل على مجملات لابد من تفصيلها، وعموميات جاء تخصيصها بالسنة النبوية))[2].

السنة في اللغة:

الطريقة والسيرة[3]، قال تعالى: ﴿إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ﴾[4].

---

(١) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

(٢) ينظر: الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، مصطفى مسلم، فتحي محمد الزغبي، اثراء للنشر والتوزيع، عمان- الاردن، ط١، ٢٠٠٧: ٥٣.

(٣) لسان العرب ابن منظور، مادة (سنن): ٢١٢٤/١.

(٤) سورة الكهف: الآية ٥٥.

((واذا اطلقت في الشرع فأنما يراد بها ما امر به النبي (ﷺ) ونهى عنه، وندب اليه، قولا وفعلا مما لم ينطق به الكتاب العزيز، لهذا يقال: الكتاب والسنة، أي القرآن والحديث))[١].

السنة في الاصطلاح:

كل ما اثر عن النبي (ﷺ) من قول او فعل او تقرير او صفة خَلقية او خُلقية، او سيرة سواء كان ذلك قبل البعثة كتحنثهُ في غار حراء او بعدها[٢]، والسنة النبوية تأتي بعد القرآن الكريم، فمن رجع إلى القرآن الكريم ولم يجد فيه طلبته بحث عنها بالسنة النبوية[٣] وجرت سنة الله في النبوات ان يزود الله تعالى كل نبي بآية معجزة تكون دليل صدقه، لأن النبي لا يتميز عن البشر بشيء مادي في خلقته[٤] قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾[٥]، كان رسول الله (ﷺ) أخطب العرب قاطبة وكثيرا ما كان يخطب في قريش يدعوهم الى الدين الحنيف والدخول في الاسلام، ومع مستهل الهجرة قدم الدين للناس نوعا جديدا من الخطابة[٦].

يعد الخطاب الديني النبوي خطابا متميزا عن الخطابات الاعتيادية، اذ انه يسجل حضورا قويا في كل عصر لما له من تأثير يجعل العقول مذعنة له، واهم ما يميزه عن باقي الخطابات موضوعه الذي هو الدين، ومرسله الذي يمتلك سلطة وثقافة دينية.

ومن مضامين الخطاب الديني النبوي السيرة النبوية: الرسول (ﷺ) قدوة كل مسلم ومسلمة وهو الاسوة الحسنة التي يجب على كل مسلم ان يقتدى بها قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ

---

(١) لسان العرب ابن منظور، مادة (سنن): ٢١٢٤/١.

(٢) ينظر: السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م: ١٦.

(٣) الثقافة الاسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها: ٥٨.

(٤) المصدر نفسه: ٣٧.

(٥) سورة الكهف: الآية ١١٠.

(٦) ينظر: الخطابة فن التأثير والاقناع، احمد عطا اسماعيل، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع: ٥٢.

فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾[1]، والاسوة القدوة، والاسوة ما يتأسى به، ليقتدي به (ﷺ) في جميع احواله الشريفة، والمرء احوج في زماننا إلى التأسي برسول الله (ﷺ) وهذه من الامور التي اوجبها الله تعالى، فالقرآن يعلمنا ان رحمة الله ستكون من نصيب من يتبعون الرسول (ﷺ) كما قال جل شأنه: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿*﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾[2]. بل ان الفلاح هو مصير الذين اتبعوا النور الذي جاء به عليه الصلاة والسلام قال عز وجل: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3]، وقد وصفه الله تعالى بأنه هداية للعالم ورحمة للانسانية فيقول عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[4].

((ولما استقر المسلمون في الاندلس، وامنوا على حياتهم ومصدر رزقهم بدأوا في الدراسة والبحث واول شيء اعتمدوا عليه في بحثهم هو الكتاب والسنة، فكانت افكارهم مستمدة منهما... وكان لطبيعة الاندلس الأثر الملموس لصفاء نفوسهم وتوقد قريحتهم، وخصوبة ذهنهم، وسرعة بديهتهم، فبدعوا لذلك في علوم الدين واللغة والادب... وبالرغم من الاضطرابات التي تعرضت لها البلاد في الحياة السياسية فأنها كانت شعلة نور ومنارة للهداية))[5].

بدأت صور الخطابة الاسلامية بظهور رسول الله (ﷺ)خطيبا غير شاعر... وأول موقف وقفه للخطابة كان يوم نزول قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[6].

---

(١) سورة الاحزاب: الآية ٢١.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٥٦-١٥٧.

(٣) سورة الاعراف: الآية ١٥٧.

(٤) سورة الأنبياء: الآية ١٠٧.

(٥) في الادب الاندلسي تطوره موضوعاته واشهر اعلامه، علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات: ٤٣.

(٦) سورة الحجر: الآية ٩٤.

وقد ادرك الشاعر الاندلسي عظمة سيرة الرسول (ﷺ) ومعجزاته، فأخذ يوظفها في شعره، ومن هذه المعجزات الباقية على طول العصور والازمان هو القرآن الكريم، وكذلك المعجزات التي رافقت هجرته الى المدينة، فقد وقف الشاعر الاندلسي منها موقف المؤرخ الذي تابع الاحداث بتسلسل تاريخي، يتقصى من خلالها تفاصيل تلك الرحلة، مشيرا الى اهم هذه المعجزات وهي خروج الرسول (ﷺ) من بين ايدي الكافرين، وقد اعمى الله بصرهم وبصيرتهم قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ﴾[1].

وقد عبر ابن الجنان الاندلسي (ت٦٤٨هـ) عن ذلك. قائلاً:

الطويل

سلامُ على من أعشيت أعين العدى وقد بيتوه قصد الفتك رصدا

سلامٌ على ملقي الترابِ عليهم ومبقٍ عليا في الفراش موسَّدا[2]

فالشاعر يشير في هذه الابيات الى معجزة الرسول (ﷺ) يوم هجرته من مكة الى المدينة، وخروجه من بين ايدي الكافرين حين اعمى الله ابصار الكافرين وبصيرتهم إذ اقام عليا (كرم الله وجهه) في فراشه وهذه احدى معجزات الرسول (ﷺ) التي رافقت سيرته العطرة.

---

(١) سورة يس: الآية ٩.

(٢) ديوان ابن الجنان الانصاري الاندلسي، تحقيق: منجد مصطفى بهجت، مكتبة يسار العرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠: ٩١.

وبالحديث عن سيرة المصطفى (ﷺ) ومعجزاته الخالدة يصور لنا ابو حيان الاندلسي (ت٧٤٥هـ) احدى معجزاته وهي معجزة القرآن الكريم. قائلاً:

البسيط

وَمعجـــــزاتُ رَســـــولِ اللهِ باقيـــــةٌ محفوظـةٌ مـا لهـا فـي الـدَّهرِ تحويـلُ
تَكفَّـــلَ اللهُ هـــذا الـــذكرَ بحفظِـــهِ وهـلْ يضـيعُ الـذي بـاللهِ مكفـولُ[1]

فالشاعر يشير الى احدى معجزات الرسول (ﷺ) وهي القرآن الكريم الذي انزله الله تعالى على نبيه وتعهد بحفظه قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2].

فالله تعالى انزل القرآن الكريم على نبيه محمد (ﷺ) وتعهد بحفظه من التحريف والتزييف.

فالرسول محمد (ﷺ) اثنى عليه رب العزة في كتابه وخصه بالآيات والمعجزات، فابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) يعترف بعجزه وعجز كل فصيح ان يحيط بوصف النبي (ﷺ) بعد ان مدحه القرآن الكريم قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[3].

فابن الخطيب يوظف ذلك في شعره. قائلاً:

الكامل

مَـدَحتكَ آيـاتُ الكِتـابِ فَمـا عَسـى يُثنـي علـى عُليـاكَ نَضـمُ مَـديحي
وإذا كِتـــابُ اللهِ أثنـــى مُفصِـــحا كـانَ القصـورُ قُصـارَ كُـلَّ فصـيحِ[4]

وهو اعتراف من الشاعر بقصوره وقصور كل فصيح ان يثني على النبي (ﷺ) الذي اثنى الله عز وجل عليه.

هذا فيما يخص سيرة المصطفى (ﷺ) وذكر بعض معجزاته.

سيرة الصحابة (رضي الله عنهم):

---

(١) ديوان ابو حيان الاندلسي، تحقيق: احمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م: ٥٠.

(٢) سورة الحجر: الآية ٩.

(٣) سورة القلم: الآية ٤.

(٤) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٢٤٤/١.

بعد أن اشاد الشعراء بسيرة رسول الله (ﷺ) وذكر بعض من معجزاته وتأييد الله تعالى له، أشاد الشعراء بصحابته (رضي الله عنهم) وذكر سيرتهم وتفانيهم في الدفاع عن الاسلام فهم خير خلف لخير سلف، كما قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[1]، فصحابة رسول الله (ﷺ) خير الناس في هذه الامة، ثم من فعل فعلهم وسار على هديهم واقتدى بهم لذا نجد الشاعر الاندلسي ولاسيما شعراء بني الاحمر قد وظفوا سيرة الصحابة في شعرهم لبيان مكانتهم وفضلهم على الاسلام والمسلمين، ومن شعراء بني الاحمر الذين اشادوا بدور الصحابة وفضلهم لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ).قائلاً:

البسيط

صَـلَّى عَليـهِ الـذي أهـداهُ نُـورَ هُـدىً ... مـا هَبَّـتِ الـرِّيحُ مِن بَعدِ الجَنـوبِ صَـباً
ثُمَّ الرّضـى عَن أبـي بكـرٍ وعَـن عُمـرَ ... بَـــدرانِ مِـــن بَعـــدهِ للملَّـــةِ انتُخِبـــا
وبَعـــدُ عُثمـــانُ ذُو النـــورَينِ ثـــالِثُهُم ... مَـن أحـرَزَ المَجـدَ مَورُوثـاً ومُكتَسَـبا
وعَـن عَلـيّ أبـي السـبطَينِ رابِعِهـم ... سَـيفِ النبـيّ الـذي مـا هَـزهُ فَنَبـا[2]

وهنا يستحضر ابن الخطيب الخلفاء الراشدين (رضي الله عنهم) فهم من العشرة المبشرين بالجنة مشيدا بفضلهم ومكانتهم لما عرفوا به من شجاعة وصدق في الدفاع عن الرسول (ﷺ) ونرى ان شعراء بني الاحمر قد اكثرو في شعرهم من ذكر الصحابة (رضي الله عنهم) لمكانتهم في نفوس المسلمين.

ومن شعراء بني الأحمر الذين أشادوا في الدفاع عن الإسلام والإشادة بفضلهم ومكانتهم الدينة في نفوس المسلمين ابن جابر الأندلسي (ت٧٨٠هـ)، قائلاً:

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١١٠.

(٢) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ١١٨/١.

الطويل

الا أن اصـــحابي نجـــومٌ مـــن اقتـــدى بهـم فـي سـبيل العلـم والحلـم يهتـدي[1]

فالشاعر هنا يشيد بفضل الصحابة (ﷺ) وعلى من يقتدي بهم فهؤلاء الصحابة نور يستضاء به في سبيل طلب العلم والهداية فهم كالنجوم التي تنير طريق الهداية بنورهم نهتدي.

وقد أشاد الشعراء بعدالة الصحابة وفضلهم (ﷺ) لما عرض عنهم من عدل وانصاف وقد اشاد عدد من شعراء بني الاحمر بعدالتهم وانصافهم ودفاعهم عن الاسلام ومن هؤلاء الشعراء لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ) حين وظف شخصية عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين وأشهر قادة الاسلام والذي تميز بعدالته حتى لقب بالفاروق لتفريقه بين الحق والباطل، وقد ذكره الشاعر في معرض مدحه لابي الحجاج. قائلا:

الطويل

هُمـــامَ أجـــدَّ الـــدينَ بَعـــدَ إختلافِـــهِ وألْبَسَـــهُ مِـــن عَـــدلِ أيامِـــهِ وشَـــيَا

وفَـرقَ بَـينَ الحَـقّ والشـكِّ إذ جَـرى علـى سُـننِ الفـارُوقِ فـي هَديـهِ جَرَيـا[2]

فالشاعر قد وظف شخصية عمر بن الخطاب (ﷺ) ثاني الخلفاء الراشدين في معرض مدحه لأبي الحجاج ليسبغ على ممدوحة فضيلة العدل والانصاف التي اتصف بها عمر بن الخطاب (ﷺ).

ويتواصل ابن الخطيب (ت٧٧٦هـ) في شعره بالإشادة بدور الصحابة في الدفاع عن الاسلام من خلال استحضاره لشخصية الخليفة الرابع علي بن ابي طالب(ﷺ) لما امتاز به من قوة وحكمة وشجاعة في الدفاع عن الرسول (ﷺ) وعن الاسلام، لذا نجده في شكواه لشيخه ابن الجياب يستنهضه موريا بعلي بن ابي طالب (ﷺ). قائلا:

---

(١) ديوان ابن جابر الاندلسي: ١٧.

(٢) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٢/٧٧٥-٧٧٦.

الطويل

أبـــا حَسَـــنِ مـــا للزَّمـــانِ يَنوشُـــني كأنـــكَ لَـــم تَعلَـــم بِـــودي ولا حُبـــي
ومَـــن لـــي بـــأوامٍ عَلَـــيَّ تـــألبوا أســـالِمهُم دَهـــري ويَسـعونَ فـــي حَربـــي
وأنـــتَ (عَلـــيَّ) قـــد علمـــتَ تشـــيعي فَكُـن ناصِـري وأدرأ جُمـوعَ بَنـي حَـربِ[1]

فابن الخطيب يحيط ممدوحة بالقدسية والوقار في هذا البيت.

ومن شعراء بني الاحمر الذين أشادوا بدور الصحابة في الدفاع عن الاسلام والاشادة بفضلهم ومكانتهم الدينية في نفوس المسلمين ابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ).

وبالحديث عن عدالة عمر بن الخطاب (ﷺ) نجد في شعر ابن جابر الاندلسي (ت٧٨٠هـ) اشارة الى عدالته. قائلا:

الطويل

هُـو المَـرءِ لَـم يَتـرك لَـهُ الحـق صـاحباً ولا قعـــدَ منـــه الشـــيطان بمقعـــدِ
ولا سَـلَكَ الشـيطان فجـاً قـد اغتـدى لـــه ســـالكا مـــن خوفـــه المتزيـــدِ
....
وإمرتـــه كانـــت علـــى النـــاس رحمـــةً فـــأبوا إلـــى فـــتح وعـــز ممهـــدِ
وتفريقـــه مـــا بـــين حـــقِ وباطـــلِ بيـــومِ ســـقى الكفـــار أفظـــع مـــوردِ[2]

الشاعر هنا قد وظف هذا البيت ليسبغ على ممدوحه الشجاعة والعدل والانصاف وهي من الفضائل التي عرف بها عمر بن الخطاب (ﷺ).

أما فيما يخص نسبب ملوك بني الأحمر، فالعربُ ومنذ القدم يفتخرون بأنسابهم؛ لذا عملت القبائل للحفاظ على أصولهم وجذورهم العربية الاصيلة لأنها كانت من القيم الأصيلة التي يتفاخرون بها وعملوا على توريثها لأبنائهم جيلا بعد جيل، وقد اهتم شعراء بني الاحمر في اكثر من مناسبة الى ذكر نسب بني الاحمر الذي يرجع الى الصحابي الجليل سعد بن عبادة (ﷺ) احد اصحاب الرسول (ﷺ).

---

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ١٦٦/١.

(٢) ديوان ابن جابر الاندلسي: ٤٦.

ومن الشعراء الذين وظفوا ذلك في اشعارهم لسان الدين بن الخطيب(ت٧٧٦هـ). قائلا:

الطويل

سَما بكَ في الانصارِ بَيتٌ سَما به إلى ذِروةِ البَيتِ الرفيعِ المناسِبُ

واطلَع سَعدٌ منك بَدرَ خلافَةٍ تُنيرُ بهِ الدُّنيا وتُجلى الغَياهِبُ

ومَن ذا لهُ فخرٌ كسَعدٍ على الوَرى فَسَعدُ وزيرٌ للنبيّ وصَاحِبُ[١]

فابن الخطيب يذكر الانصار في اثناء مدحه لابي الحجاج مؤكدا على شخصية سعد بن عبادة فهو يشير الى نسب ملوك بني الاحمر لهذا الصحابي الجليل من جهة ومن جهة اخرى ليؤكد على احقية بني الاحمر في حكمهم فهم من نسل الصحابة (ﷺ)، فهو يرى ان الفخر لا يكون الا لسعد بن عبادة، لأنه صاحب النبي (ﷺ) وناصره.

كما يشير ابن الخطيب الى شخصية (قيس بن سعد بن عبادة)[٢]. في قوله:

البسيط

قيساً دَعاني وسَماني على اسم ابي قيس بن سَعد ألا فاعظم بهِ نسباً[٣]

فالشاعر يذكر قيس بن سعد بن عبادة الانصاري للإشارة بنسب ملوك بني الاحمر الذي يتصل بالأنصار من اهل المدينة فأسبغ على هؤلاء السلاطين عراقة النسب الشريف.

ومن شعر ابن زمرك (ت٧٩٧هـ) يفتخر بنسب ملوك بني الاحمر. قوله:

الكامل

اَهدَت مِنَ الأنصارِ تُحفَةَ قَادمٍ أن الهُدى بكَ يا ابن نَصرِ يُنصَرُ

وإذا غَرَستَ بأرضِ مَن عادَيتَهُ شَجَرَ القَنا بجَنى البَشائِرِ يَثمِرُ[٤]

فالشاعر يشير في هذه الابيات الى الانصار وهنا اشارة الى اصحاب الرسول (ﷺ) وهم الانصار من اهل المدينة من الاوس والخزرج ثم يذكر ممدوحه أنه من نسل الانصار وكثيرا ما افتخر شعراء بني الاحمر بهذا النسب.

---

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ١/١٢٠.

(٢) قيس بن سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن ابي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة، الطبقات الكبرى: ٥/٣٦٩.

(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ١/١١٩.

(٤) ديوان ابن زمرك: ٤٣.

ومن شعر يوسف الثالث ملك غرناطة (ت٨٢٠هـ) يفتخر بنسبه. قائلاً:

الكامل

إنـــا يوســـفيَّ فـــي اســـمه وصـــفاتهِ نصـــري بيـــت فـــي العُـــلا مشـــيدِ

ويـــحَ الأعـــادي مـــن عـــزائم جَـــدَدت أفعـــــال آبـــــائي بهـــــم وجـــــودِ[١]

فالشاعر يفتخر بنفسه وانتمائه للأنصار وكثيرا ما ذكر اجداده وغزواتهم وفتوحاتهم التي اذاقوا فيها الاعداء مرارة الهزائم، فالشاعر اراد من خلال هذه الابيات التذكير بنسبه الذي يتصل بانصار الرسول (ﷺ) لإسباغ عراقة النسب الشريف الذي يرجع الى اصول عربية.

ويقول يوسف الثالث في بيت اخر يفتخر بنسبه. قائلاً

الكامل

ســـعد وقـــيس فـــي القـــديم حـــديثهم در أنـــــاف بســـــلكه المتنضـــــدِ[٢]

وهنا يوسف الثالث يفتخر بنسبه الى سيدنا سعد بن عبادة وابنه قيس بن سعد بن عبادة (رضي الله عنهما) فالشاعر إذا اراد الفخر بنسبه الاشم واصالة بيته افتخر بهذا النسب.

وكان للعرب اهتمام بالغ في حفظ الانساب ومن يطلع على تاريخ العرب قبل الاسلام وبعده يدرك مدى اهتمامهم بحفظ انسابهم واعراقهم، وهو امر طبيعي يتناسب مع طبيعة حياتهم فالنسب عند العرب يمثل حلقة الوصل بين الماضي والحاضر وهذا ما عمل على اظهاره شعراء بني الاحمر.

---

(١) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث: ٥٥.

(٢) المصدر نفسه: ١٧٢.

المبحث الثالث

مضامين الخطاب الديني التاريخي

لقد قامت ببلاد الاندلس عدة دول اسهمت في ظهور حضارة اسلامية لاتزال شواهدها قائمة الى يومنا هذا ومن بين هذه الدول التي نالت الحظ الاوفر من معالم ومآثر هذه الحضارة دولة بني الاحمر بغرناطة، هذه الدولة التي عمرت لمدة تجاوزت القرنين والنصف (٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م) وما ساعدها على ذلك هو خصائصها الطبيعية وموقعها الجغرافي المتميز، ناهيك عن كونها اخر معاقل المسلمين التي سقطت على ايدي النصارى، الذين طالما سعوا جاهدين للانقضاض عليها. ومن العوامل التي اثرت ايجابا على الشعر والشعراء في عصر بني الاحمر تأثرهم بالتراث التاريخي للاندلس، فالتراث التاريخي يعد مصدرا مهما من مصادر التراث الثقافي والفكري لكل اديب شاعرا كان ام ناثرا، فهو سجل حافل لما حدث في الماضي، وقلما نجد شاعرا وفي الوقت نفسه يكون مؤرخا يستقصي اخبار الامم القديمة، واخبار العرب، وباستلهام التاريخ والتراث ينمي الشاعر والاديب موهبته الشعرية، اذ يشكل التاريخ مرجعية معرفية تثري موهبة الشاعر والاديب في انتاج النص الادبي[١].

وبما ان الادب الاندلسي هو امتداد للادب المشرقي، فلا غرابة في عودة شعراء الاندلس عامة وشعراء بني الاحمر خاصة الى التراث التاريخي، ولاسيما ان الامة العربية تمتاز بتاريخها الثقافي والفكري العريق، لذا كان التاريخ رافدا مهما من روافد التراث الثقافي لشعراء الاندلس، وكان هذا التاريخ معينا لا ينضب، يستمد منه الشاعر الاحداث والوقائع التاريخية بشكل يتلائم مع احداث عصره.

لقد حظى التاريخ باهتمام الشاعر الاندلسي، اذ عمل على انتقاء بعض الوقائع والاحداث والشخصيات التاريخية بما يتلائم وظروف العصر الذي يعيش

---

(١) ينظر: المضامين الدينية والتراثية في الشعر الاندلسي في القرن الرابع الهجري، فائزة رضا شاهين العزاوي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م: ٧١.

فيه ذلك الشاعر، والتي يحتاج اليها المجتمع الذي يعد الشاعر جزء لا يتجزأ منه، و((بالطبع فأن الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الاحداث والهموم التي يريد ان ينقلها الى المتلقي))[1]، ويعمد الشاعر في كثير من الاحيان في توظيفه للتراث التاريخي على رسم صورة فنية لها هدف استوحاه من التاريخ وادخله في عمله الادبي لهدف يبغيه من ورائه، فهو لا يقوم بسرد الاحداث التاريخية كما هي بل يضفي عليها طابعا جماليا لا يتمتع به المؤرخ، لذا عني هؤلاء الشعراء بتوظيف الشخصيات الاسلامية التي اتسمت بصفات خالدة، وقد وظفوا كل شخصية في الاطار الملائم لها وحسب موضوع القصيدة.

ومن مضامين الخطاب الديني التاريخي:

أولاً: الاستشهاد بالشخصيات الاسلامية التاريخية

عمد الشاعر الاندلسي الى استدعاء بعض الشخصيات التاريخية التي عرفت بشجاعتها في مقاتلة الاعداء ومن هذه الشخصيات المشهورة في العصر الاسلامي شخصيتين لقائدين عرفا بالبراعة في قيادة الجيوش، واشتهرا بالقوة والصلابة، وتميزا بحسن القيادة والتخطيط العسكري وهما (خالد بن الوليد)[2]، (وضرار بن الخطاب)[3]، ومن الذين وظفوا هاتين الشخصيتين في شعرهم لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). قوله:

الطويل

---

(١) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ١٢٠.

(٢) خالد بن الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ابو سليمان وقيل ابو الوليد القرشي المخزومي، أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابي الحسين علي بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير (٥٥٥-٦٣٠هـ)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م: ٣٣٢.

(٣) ضرار بن الخطاب بن مِرداس بن كبير بن حبيب بن عَمرو بن شيبان بن مُحارب بن فِهر، الطبقات الكبرى: ٦/١٣٥.

قـــاموا بـــأمر اللهِ والإســـلامُ مـــا بَـــينَ العَـــدو ومَزبـــدٍ زَخَّـــارِ
واســترهفوا البِــيضَ العِضــابَ كأنمــا تُمضـــي بكفـــي خالـــدٍ وضـــرارِ[1]

وقد وظف ابن الخطيب في شعره هاتين الشخصيتين الاسلاميتين لقائدين عرفا بالبراعة والقوة والصلابة في قيادة الجيش في العصر الاسلامي، وقد استعارهما ليصف شجاعة وقوة ممدوحه وجنده، فالشاعر يصف مدى استعداد ممدوحه وجنوده لمجابهة الاعداء.

ومن شعر ابن جابر الاندلسي(ت٧٨٠هـ) وتضمين شعره لشخصيات تاريخية. قوله:

الطويل

كِـــرام فخـــام مـــن ذؤابـــة هاشـــم يقولـــون للاضـــياف أهـــلا ومرحبـــا[2]

فالشاعر هنا يشير الى بني هاشم وهي قبيلة النبي (صلى الله عليه وسلم) فهم معروفون بالكرم والفخامة والعفة واكرام الضيوف ومناصرة المظلوم وقد عبر الشاعر بالكرام الفخام اهل البيت الذين هم من السلالة الهاشمية او الفرع الهاشمي، والاصل هنا انه عدا بثلاثة جموع للتكسير: (كرام، فخام) وكلاهما بزنة (فعال) وهو جمع للكثرة، اما التعبير بالاضياف فهو جمع قلة بزنة (أفعال) والتعبير بتلك الاوزان من جموع الكثرة ليضيف جرسا موسيقيا ونغمة تصاعدية في التعبير.

((واحياناً لا يستعير الشاعر شخصية تاريخية واقعية، وانما يستعير شخصية عامة كشخصية الخليفة مثلا او غيرهما من الشخصيات التي ارتبطت في تراثنا التاريخي بقيم ودلالات معينة، والتي شاع استخدام الشعراء لها لاثارة هذه الدلالات والقيم))[3]، ومن ذلك ما نجده في شعر ابن زمرك (ت٧٩٧هـ). قائلاً:

الكامل

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٣٦٩/١.
(٢) ديوان ابن جابر الاندلسي: ٢٤.
(٣) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ١٣٢.

لَــم يَحــط قَبلَــكَ يــا خَليفَــة رَبَنــا بِفخارِهــا المَنصــورُ والمُستنصــرُ
وإذا المُلــوكُ تميــزت بصِــفاتِها ألفيتُهــا عَرَضــاً وأنــت الجَــوهرُ[1]

فالشاعر يمدح الغني بالله ويعدد محاسنه ويضفي عليه صفات الخلفاء العباسيين ومنهم المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) والمستنصر (٦٢٣-٦٤٠هـ) لما امتازت به من الشجاعة والصلابة والقوة وهذه صفات الخلفاء والغني بالله واحد منهم، وقد يجمع الشاعر في القصيدة الواحدة بين اكثر من شخصية من الشخصيات لابراز نوع من المفارقة الجماعية[٢].

ومن المصادر التراثية التي استمد منها شعراؤنا الشخصيات التي وظفوها بعد القرآن الكريم، قصص القرآن، وقصص الأنبياء، وبعض كتب السير والاعلام والتراجم والطبقات، وبعض كتب التصوف والتاريخ، وتاريخ الأدب، فضلا عن بعض مصادر تراثنا الشعبي ككتابي (ألف ليلة وليلة وكليلة والدمنة) وغيرهما[٣].

ثانياً: استدعاء الأحداث والوقائع الإسلامية التاريخية:

يستدعي بعض الشعراء الاحداث والوقائع التاريخية فيوظفونها في اشعارهم، وذلك لاغناء نصوصهم الشعرية بمضمون مؤثر في ذهن المتلقي، والذي يكون اكثر تفاعلا مع الاحداث والوقائع التاريخية اذا ما ترجمت شعرا، وقد حرص الشعراء على استحضار الاحداث والوقائع التي تتناسب مع الواقع الذي يعيشه العرب في الاندلس.

ومن هذه الوقائع حادثة اغتيال السلطان ابي الحجاج (ت٧٥٥هـ) اثناء صلاته بالمسجد الاعظم يوم عيد الفطر سنة ٧٥٥هـ، وهو في عنفوان مجده وفتوته في السابعة والثلاثين، وكان ابن الخطيب من شهود هذا المنظر المؤسى[٤]، وقد وظف ابن الخطيب هذه الحادثة في شعره حيث تبادر الى ذهنه حادثة اغتيال الامام علي بن ابي طالب على يد ابن ملجم وحادثة اغتيال الحمزة بن عبد المطلب على يد وحشي. ومنه قوله:

---

(١) ديوان ابن زمرك: ٤٦.

(٢) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر: ١٢٩.

(٣) المصدر نفسه: ١٢٠.

(٤) ينظر: نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين: ١٣٤.

الطويل

تَــوَلى شَــهيداً سَــاجداً فــي صَــلاتِهِ أصـيلَ التقـى رَطـبَ اللسـانِ مـن الـذّكرِ

....

فَهــذا علــيٌ قَــد قَضــى بــابنِ مُلجَــم وأوقَــعَ وَحشــيٌ بحَمــزةَ ذي الفخــرِ[1]

فالشاعر وظف هذه الحادثة في شعره مستلهما ذلك من الاحداث التاريخية.

ثالثاً: الاستشهاد بأبيات من العصر العباسي:

وتمتد مسيرة التواصل مع التراث الشعري لشعراء عصر بني الاحمر الى العصر العباسي، وذلك لقرب هذا العصر من العصر الذي عاش فيه هؤلاء الشعراء، وفي طليعة شعراء العصر العباسي ابا الطيب المتنبي ولا يبدو هذا مستغربا لمنزلته ولشهرته التي ملأت الدنيا وشغلت الناس وكذلك لمنزلته الشعرية الرفيعة وشعره المتين حيث ضم الكثير من ابيات الحكمة التي نهل منها الكثير من الشعراء.

ومن الاستشهاد بأبيات من العصر العباسي قول ابن خاتمة الانصاري (ت٧٧٠هـ):

البسيط

يـا مَـن غَـدا يُنفـقُ العُمـرَ الثمـينَ بِـلا جَـدوى سِـوى جمـعِ مـالِ خِيفـةَ العَـدمِ

إرجــع لنفسِــكَ وانظُــر فــي تخلصِــها فقــد قّــذفتَ بهــا فــي لُجَّــةِ العَــدَمِ[2]

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٣٩٩/١.

(٢) ديوان ابن خاتمة الانصاري: ١٥٦.

وقد ضمن الشاعر من بيت المتنبي. قوله:

البسيط

ومَـن يُنفِـقِ السـاعاتِ فـي جميـع مالـهِ مَخافـــةَ فقـــرٍ فالـــذي فَعَـــلَ الفَقـــرَ[١]

الشاعر هنا يذم الحرص ويؤكد على بذل المال والعطاء فالانسان ينفق عمره على جمع المال مخافة الوقوع في العدم وقد ضمن هذا البيت من شعر المتنبي حيث كان من اشهر شعراء العصر العباسي، لذا عمد اكثر الشعراء على الاستشهاد بشعره.

ومن الاستشهاد بالشعر العباسي ما نجده في شعر لسان الدين بن الخطيب ٧٧٦هـ مخاطبا أبا الحجاج. قائلاً:

الطويل

هنيئـاً لـك العيـدُ الـذي أنـت عيـدهُ وفـــي اللهِ مـــا تُبديـــه أو مـــا تعيـــدهُ[٢]

فابن الخطيب استعار من المتنبي شطر بيته الأول من القصيدة التي مدح بها سيف الدولة الحمداني والتي يقول فيها:

الطويل

هنيئـاً لـك العيـدُ الـذي أنـت عيـدهُ وعيـدٌ لمـن سـمى وضـحي وعيـدا[٣]

فابن الخطيب في تواصله مع موروثه الثقافي اكتسب خبرة في انتقاء الاشطر بمعانيها وقوالبها الشعرية التي تعزز معانيه الجديدة فخرجت اشعاره تحمل تواصل مع التراث القديم وهذا ما جعله يحتل مكانة بين الشعراء في اعتزازهم في الشعر القديم.

---

(١) ديوان المتنبي: ١٨٩.

(٢) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٢٧٠/١.

(٣) شرح ديوان المتنبي، ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، د.ت: ٢٦٦/١.

رابعاً: قصص الأنبياء

لقد اندفع الشعراء العرب عامة وشعراء الاندلس خاصة في استلهام قصص الانبياء لأخذ العبر منها لما تحمله من مواعظ وحكم ولما تتضمنه من معانٍ ادبية وبلاغية، ولأن القران الكريم اداة التأثير الوجداني وشعراء الاندلس وغيرهم من الشعراء العرب تأثروا بهذه القصص ووظفوها في شعرهم، واصبحت منبعا ينهلون منه في مخيلاتهم وابداعاتهم وهذا ما نجده عند بعض الشعراء حينما وظفوا هذه القصص وربطوها بأحداث جرت في عصورهم.

من قصص الأنبياء التي كان لها وقع عند ابن الخطيب قصة النبي سليمان (عليه السلام) فقد حظيت باهتمام ابن الخطيب في بعض احداثها وذلك لأن لها وقع مشابه لبعض الاحداث التي عاشها ابن الخطيب، ولاسيما موضوع علاقة سيدنا سليمان (عليه السلام) مع الجن فقد تناولها ابن الخطيب مهنئا الغني بالله بعد استرداد ملكه الذي اغار عليه اخيه الاصغر اسماعيل. قائلاً:

الطويل

هنيئـاً بمـا خولـت مـن رفعـةِ الشـأنِ ... وإن كـره البـاغي وإن رغـمَ الشـاني
وأن خصّـك الـرحمنُ جـلَّ جلالـهُ ... بمعجـــزةٍ منســـوبةٍ لســـليمانِ
أغـارَ علـى كرسـيهِ بعـضُ جنّـهِ ... فألقـت لـه الـدنيا مقالـدَ إذعـانِ
فلمـا رآهـا فتنـةً خـرَّ سـاجداً ... وقـال إلهـي أمـننْ علـيَّ بغفـرانِ
وهـبْ لـي ملكـاً بعـدها لـيس ينبغـي ... تقلـدهُ بعـدي لإنـسٍ ولا جـانِ
فأتـاهُ لمـا أن أجـابَ دُعـاءهُ ... مـن العـوّ مـا لـم يـؤت يومـاً لإنسـانِ
وإن كـان هـذا الأمـرُ فـي الـدهرِ مفـرداً ... فأنـت لـه لمـا اقتـديت بـهِ الثـاني[1]

الشاعر هنا يروي قصة النبي سليمان (عليه السلام) حين اغار بعص الجن على ملكه العظيم وقعد على كرسيه مستلهما هذه الحادثة من قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿*﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾[2]،

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٥٩٨/٢.
(٢) سورة ص: الآية ٣٤-٣٥.

فابن الخطيب نقل معاني هذه القصة؛ لأنها تتلائم والحالة التي مر بها ممدوحه عندما نزع عرشه اخيه الأصغر اسماعيل، الذي كان يكن له كرها وحقدا.

الفصل الثالث

أثر الخطاب الديني في الصورة الشعرية

مفهوم الصورة

الصورة البيانية

المبحث الأول: الصورة التشبيهية

المبحث الثاني: الصورة الاستعارية

المبحث الثالث: الصورة الكنائية

الفصل الثالث

أثر الخطاب الديني في الصورة الشعرية

توطئة:

مفهوم الصورة

الصورة في اللغة

تفيد معنى الشكل، ((وترد في كلام العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء وهيئته، وعلى معنى صفته، فيقال: صورة الفعل كذا وكذا أي هيئته، وصورة الامر كذا وكذا أي صفته))[١]، ويقال تصورت الشيء: توهمت صورته فتصور لي، والتصاوير: التماثيل[٢].

((والصورة بالضم الشكل... وتستعمل الصورة بمعنى النوع والصفة))[٣].

وقد وردت هذه اللفظة في القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ...﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[٥].

أما الصورة في الاصطلاح

ذكر التهانوي، ان مفهوم الصورة عند الحكماء وغيرهم يتسع ليشمل ما يتميز به الشيء مطلقا عن غيره، سواء كان في الخارج ويسمى صورة خارجية ام في الذهن ويسمى صورة ذهنية[٦].

الصورة عند القدماء:

---

(١) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مادة (صور): ٢٥٢٣/١.

(٢) المصدر نفسه، مادة (صور): ٢٥٢٣/١.

(٣) القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مادة (صور): ٩٥٥-٩٥٦.

(٤) سورة غافر: الآية ٦٤.

(٥) سورة النبأ: الآية ١٨.

(٦) ينظر: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: ٨٣٠/٣.

حظيت الصورة باهتمام القدماء في توضيح المراد من هذه اللفظة، ويعد الجاحظ (ت٢٥٥هـ) أول من تطرق لهذا الموضوع مشيرا الى ذلك بقوله: ((إنما الشعر صناعةٌ وضرب من النسج وجنسٌ من التصوير))[١].

وتكمن اهمية الصورة عند ابن الاثير في تأثيرها النفسي عند المتلقي، حيث يقول: ((إنك إذا مثلت الشيء بالشيء، فإنما تقصد به اثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به او بمعناه، وذلك أوكد في طرفي الترغيب فيه او التنفير عنه))[٢].

أما الصورة عند المحدثين

فقد عرفها د. محمد حسين الصغير في ان الصورة هي ((مجموعة العلاقات اللغوية والبيانية والايحائية القائمة بين اللفظ والمعنى او الشكل والمضمون))[٣]، اما د. جابر احمد عصفور فقد عرف الصورة بأنها ((أداة الخيال ووسيلته ومادته المهمة التي تمارس فيها ومن خلالها فاعليته ونشاطه))[٤].

وهذه النظرة تمثل رأي المحدثين ونظرتهم الى الصورة التي اختلفت تعريفاتها ومفهومها تبعا لاختلاف نظرتهم اليها، لذا فقد كانت وظيفة الصورة هي نقل احاسيس الشاعر في وعاء ندركه بحواسنا، وتلك الصورة لا تتحقق ما لم تكن عناصرها متكاملة متناسقة في حركاتها وألوانها، ورغم ذلك الفهم للصورة الشعرية قديما وحديثا الا انها تبقى محل للجدل والاختلاف فهي صورة معقدة لذا قالوا عنها انها دوامة من الافكار المختلفة، فالصورة الشعرية، هي صورة حسية وصورة ذهنية معتمدة على الخيال، فالخيال ((هو قوة تجمع بين الأشياء

---

(١) كتاب الحيوان، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م: ١٣٢/٣.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتوح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ضياء الدين المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ: ٣٧٨/١.

(٣) الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١: ٣٧.

(٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر احمد عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢: ١٤.

المتباعدة في نسق فني، يقرب بين الأشياء ويصهرها في الصورة التي يحل فيها الانسجام بين الأشياء المتباعدة، ويوافق بين الأشياء المتنافرة))[١].

وقد تنبه الى ذلك حازم القرطاجني فالشعر عنده ((كلام موزون مقفى من شأنه ان يحبب الى النفس ما قصد تحبيبه إليها ويكره اليها ما قصد تكريهه، لتحمل بذلك على طلبه او الهروب منه بما يتضمن من حسن تخييل له ومحاكاة مستقلة بنفسها او متصورة يحسن هيأة تأليف الكلام))[٢].

فقد تنبه إلى أثر الخيال في صناعة الصورة الشعرية، كما تنبه الى قدرة الشاعر في اثارة نفس المتلقي فجعله في دهشة وتعجب، اذن فالصورة الشعرية هي تلك الصورة التي تترك اثرها في المتلقي، وهذا ما يميز القول الشعري عن غيره من الكلام.

فالصورة الشعرية هي الصورة التي يصنعها الشاعر ثم يبثها الى الحياة وهي صورة مكونة بحسب موقعها من الحس والشعور والخيال وهي ((أصدق تعبيرا عما يجول في النفس من خواطر واحاسيس وأدق وسيلة لنقل ما فيها الى الغير بأمانة وقوة وايجاز))[٣].

فالصورة الشعرية ((تعد ركنا في نقل المشاعر الانسانية، بوصفها أحد الاوعية المسهمة في تقريب المتخيل وتوضيح الملموس بدرجات تختلف من أديب الى اخر تبعا لاختلاف المواهب والثقافات))[٤]، فهي تعد من القيم المهمة في الاعمال الادبية وفي الشعر خاصة فهي الوسيلة الجيدة في اظهار التجارب الشعرية بما تحويه من افكار وخواطر واحاسيس وبدونها لا نعرف شيئا عن تجارب الغير كما لا يستطيع الغير ان يعرف عن تجاربنا شيئا، لذا اهتم النقاد بها كثيرا، فعن طريقها يمكننا ان نهتدي الى الحالة الشعرية التي يمر بها الشاعر، ونشاركه انفعاله ونشاطره احاسيسه فهي كالمرآة للأديب، كما انه لكل قارئ قراءته

---

(١) وظيفة الصورة الفنية في القرآن الكريم، عبد السلام أحمد راغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م: ٤٨.

(٢) منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨: ٦٣.

(٣) الصورة الادبية تاريخ ونقد، علي صبح، دار احياء الكتب العربية: ١٧٢.

(٤) أثر القرآن في الشعر العربي دراسة في الشعر الأندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ: ١٥٦.

للنص وأن طريقة الانفعال تختلف من قارئ لآخر، فربما تثير صورة ما قارئا ولكنها لا تحمل التأثير نفسه لقارئ اخر فالانفعال للقارئ يختلف تبعا للعاطفة وتبعا للحالة الشعورية التي يمر بها القاري والتجربة التي يخوضها.

فالصورة الشعرية او المنظر المراد تصويره له حالات ومواقع:

الحالة الأولى: المنظر كما هو موجود في الواقع لا تختلف ذاته امام الانظار، بمعنى انه المنظر المدرك الحسي وهو نفسه امام المدركات الحسية للغير.

الحالة الثانية: انتقال المنظر إلى داخل النفس وامتزاجه بخواطر الشاعر، وهذا الانتقال هو الذي يصنع السحر ويضفي الجنون الى ذلك المنظر بعد غيابه عن المدرك الحسي، فهو يمتزج بمشاعر الشاعر وعواطفه واحاسيسه وصراعه مع المستودعات الذهنية والمخزونات الشعرية.

الحالة الثالثة: هي اخراج المنظر من معامل النفس في صورة جديدة، وهي ما يسمى بالصورة الادبية، فالشاعر يستطيع من خلال ملكته الفذة الحساسة ان ينقل الينا صورة العالم كله من خلال مشاعره التي تبرز في عمله الفني[١].

فالخيال الادبي يرتبط ارتباطا وثيقا بالعواطف ويتناسب طرديا معها، فضعف احداهما يؤثر في الاخر، ومن العناصر المهمة في رسم الصورة الشعرية المحسنات البلاغية، وفي مقدمتها التشبيه المعدود، ((من اشرف كلام العرب وفيه الفطنة والبراعة عندهم))[٢].

فاذا كان الاديب يستطيع ان ينتج صورة شعرية جميلة من خلال عبقريته وموهبته واصالته، فأن كلام الخالق عز وجل لابد ان يفوق كلام البشر اجمع، وأن الصورة الفنية في

(١) ينظر: الصورة الأدبية تاريخ ونقد: ١١٩.

(٢) نقد النثر، ابو الفرج قدامة بن جعفر (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: طه حسين، عبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م: ٤٩.

القرآن الكريم قد تكون اشد قوة وتأثيرا لدى المتلقي في جميع مسببات التأثير العاطفي والنفسي لدى هذا المتلقي[١].

يقول احمد الشايب: ((ان من البديهي ان مقياس الصورة، هو قدرتها على نقل الفكرة او العاطفة بأمانة ودقة والصورة هي العبارة الخارجية للحالة الداخلية، وهذا يكون مقياسها الاصيل، وكل ما نصفها به من جمال انما مرجعه الى التناسب بينها، وبين ما تصور من عقل الكاتب ومزاجه تصويرا دقيقا خاليا من جفوة وتعقيد، ففيه روح الاديب وقلبه بحيث نقرأ كأننا نحادثه، ونسمعه كأنا نعامله))[٢].

لذا فإن ((الشاعر يجب أن يكون صادق العاطفة قادرا على تصويرها ونقلها الى غيره، فاذا ما شعر بها القراء ادركوها لأنها جزء من العاطفة الانسانية العامة التي تشترك فيها النفوس بإقدار متباينة))[٣].

ويمكن القول: ((إن الاسلوب الادبي ينحل الى عناصر ثلاث: الأفكار والصور، والعبارات، وكذلك يكون الاختيار الذي تتناوله الافكار والصور والعبارات عملا اسلوبيا، وهو طريقة الصياغة التي تتصرف في تلك العناصر بما تراه يليق بموضوع الكلام))[٤].

إن الاسلوب يبدأ بالنفس البشرية وينتقل الى الادوات المساعدة التي تعين على الوصول الى الهدف وفي مقدمتها الاحاسيس التي تشترك في رسم الصورة الشعرية عن طريق العاطفة التي هي العنصر المهم فيه والتي تحتم ((وجود

---

(١) ينظر: أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الاندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة ٩٢-٤٢٢هـ: ١٥٦.

(٢) أصول النقد الادبي، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٤: ٢٥٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣٧.

(٤) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٣٩: ٣٨.

الخيال، لأنه لغة العاطفة ووسيلة تصويرها من ناحية الاديب وبعثها في نفس القارئ))[1].

دراسة الصورة البيانية

كان العرب أهل البلاغة والفصاحة، وكان شعرهم أبلغ كلاما بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، من شعر ونثر ومنافرات وامثال ووصايا وغيرها من فنون الادب، فالبلاغة ((ملتقى علوم اللغة واشرفها، فالمرتبة الدنيا من الكلام هي التي تبدأ من الفاظ التي تدل على معاني محددة، ثم تتدرج حتى تصل الى الكلمة الصحيحة والعبارة البليغة))[2].

البيان في اللغة

ما بين به الشيء من دلالة وغيرها، وبان الشيء بياناً: اتضَحَ، فهو بين[3].

قال تعالى: ﴿حم ﴿*﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾[4]، أي الكتاب البين والبيان: إظهار المقصود بأبلغ لفظ، وهو حسن الفهم وذكاء القلب مع اللسن، واصله الكشف والظهور[5]، قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ . . . ﴾[6].

والبيانُ: الفصاحةُ واللسنُ، ويقال كلام بين فصيحُ، والبين من الرجال الفصيحُ[7].

وبانَ بيانا: اتضَحَ، فهو بين، واستبنتهُ: أوضحْتهُ وعَرفتهُ[8].

---

(١) الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية: ٣٨.
(٢) الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): ٣.
(٣) لسان العرب ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مادة (بين): ٤٠٦/١.
(٤) سورة الدخان: الآية ١-٢.
(٥) لسان العرب، مادة (بين): ٤٠٧/١.
(٦) سورة النحل: الآية ٨٩.
(٧) لسان العرب، مادة (بين): ٤٠٧/١.
(٨) القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ت ٨١٧هـ)، مادة (بين): ١٧٩.

وردت كلمة البيان ومشتقاتها كثيرا في القرآن الكريم وفي سنة الرسول (ﷺ) كما في قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ﴾[4]، وقوله تعالى: ﴿وَسَكَنتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾[5]، والمعنى المتبادر لهذه الايات هو الظهور والكشف والايضاح.

أما في الحديث فقد ورد لفظ البيان فيما روي عن النبي (ﷺ) قوله: ((ان من البيان لسحراً وأن من الشعرِ لحكمةً))[6].

والبيان هنا عد من السحر ولما كان معنى السحر قلب الشيء في عين الانسان وليس بقلب الأعيان، الا ترى ان البليغ يمدح انسان حتى يصرف قلوب السامعين الى حبه، ثم يذمه حتى يصرفها الى بغضه.

ومنه قوله (ﷺ): ((البذاء والبيان شعبتان من النفاق))[7].

أراد انهما خصلتان منشؤهما النفاق، اما البذاء فهو الفحش وأما البيان فأراد منه ذم التعمق في المنطق واظهار التقدم فيه على الناس وكأنه نوع من العجب الكبير.

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ٢٦.

(٤) سورة آل عمران: الآية ١٨٧.

(٥) سورة ابراهيم: الآية ٤٥.

(٦) النهاية في غريب الحديث والاثر: ١/١٧٤.

(٧) المصدر نفسه: ١/١٧٤.

البيان اصطلاحاً

أول من وقف عند لفظة البيان من اللغويين هو الجاحظ (ت٢٥٥هـ) حيث سمي احد كتبه (البيان والتبيين) جمع فيه الكثير من الاقوال وتحدث فيه عن البيان، فالبيان عند الجاحظ هو الكشف والايضاح والفهم والافهام حيث قال: ((البيان اسم جامع لكل شيء كَشَفَ لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير حتى يُفضي السامع الى حقيقته ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان ذاك الدليل، لأن مدار الامر والغاية التي اليها يجري القائل والسامع انما هو الفهم والافهام بأي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى فذاك هو البيان))[١].

والبيان اربعة اقسام: كلام، وحال، واشارة، وعلامة، وهذا قريب مما اشار اليه الجاحظ.

وقد عرف السكاكي البيان فقال: ((أما علم البيان فهو معرفة ايراد المعنى الواحد في طرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه وبالنقصان ليحترز بالوقوف على ذلك عن الخطأ في مطابقة الكلام لتمام المراد منه))[٢].

أما القزويني فقد عرف البيان بقوله: ((هو علم يعرف به ايراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه))[٣].

وقد أخذ البيان عند السكاكي والقزويني طابع علمي وأصبح يدل على التشبيه والاستعارة والكناية بعد ان كان يشمل فنون البلاغة كلها عند المتقدمين، اما المتأخرون فلم يخرجوا على هذا التحديد الذي انتهى اليه السكاكي وأقره القزويني، ولا يزل علم البيان يشمل التشبيه والاستعارة والكناية.

ومن خلال ما تقدم نستنتج ان البيان هو الكشف والظهور والابانة.

---

(١) البيان والتبيين، الجاحظ (ت ٢٥٥هـ): ٨٢/١.

(٢) مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٢٦هـ): ١٦٢/١.

(٣) الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): ٥.

وتعد الصورة البيانية من اهم المرتكزات البنائية في الخطاب الشعري وإحدى ادوات الشاعر التي لا يمكن ان يتخلى عنها، فهي وسيلته التي يحاول بواسطتها الشاعر نقل فكرته الخطابية وعاطفته وملاحظاته لتوصيلها الى المتلقي. فهي بلا شك ((ظاهرة انسانية هدفها يتعدى التنفيس عن العاطفة والانفعال الى التأثير في المتلقي))[1].

وكان القرآن الكريم والحديث الشريف رافدا عذبا يرتوي منه الشاعر الاندلسي، ويغذي ذاكرته فاستلهم كثيرا من معانيه وصورة وقصصه، وضمنها كثيرا من ابياته الشعرية اشارة وتلميحا او تميزا، لذا بدت الصورة البيانية للمتلقي غنية بهذه القيم الدينية العظيمة التي لا ينفك عن متابعتها، ومن اجل ذلك اهتم الشعراء في خطابهم ولاسيما شعراء بني الاحمر الذين اعتمدوها لأجل ابراز جماليات الابداع الادبي التي تجعلها متفردة عن غيرها، وقد ادرك الشاعر اهمية الصورة البيانية وما تحويه من الفاظ وعبارات بعد نظمها في سياق شعري معبرا عن جانب من جوانب تجاربهم مستفيدين من ثمار ثقافتهم الادبية مبتعدين عن الصور التقليدية التي تقلل من حدة الاثارة عند المتلقي.

وتعد الصورة البيانية من الاصول التراثية التي غالبا ما ارتكز عليها خيال الشعراء، فقد تفننوا في كلامهم وتوسعوا فيه ليبتعدوا بصورهم عن الاساليب التقريرية المباشرة، وبالشكل الذي يجعلها قادرة على تحقيق التفاعل مع المتلقي، ذلك ((لأن مدار الامر والغاية التي يجري اليها القائل والسامع انما هو الفهم والافهام، فبأي شيء بلغت الافهام واوضحت عن المعنى فذلك هو البيان))[2].

ومن الصور البيانية التي اعتمدها شعراء الاندلس عامة وشعراء بني الاحمر خاصة (التشبيه والاستعارة والكناية).

---

(١) بناء الصورة الفنية في البيان العربي (موازنة وتطبيق)، كامل حسن البصير، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٢٧٠.

(٢) زهرة الآداب وثمر الألباب: ١٠٨.

المبحث الأول

الصورة التشبيهية

يعد التشبه من عناصر الصورة البيانية التي يحاول الشاعر من خلالها بيان الوصف المشترك بين عناصر التشبيه، المشبه والمشبه به، لإيصال المعنى الى المتلقي بصورة تطمأن النفس لها، ويجعله امام الفكرة وكأنها ماثلة امامه يجول بنظره ويتتبع اثارها ويشعر بها، لذا فالتشبيه وسيلة مهمة من وسائل التصوير، ((فالأديب لابد ان يكون واسع المعرفة جم المشاعر وقد ذاق من كل طعم وتعلق من كل شيء بسبب))[١].

التشبيه لغة:

جاء في لسان العرب: ((الشبْهُ والشبيهُ: المِثْلُ وتجمع اشباهٌ واشبَه الشيءُ الشيء: ماثله))[٢].

قال تعالى: ﴿وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً . . . ﴾[٣].

((وتشابه الشيئان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه...، والتشبيه التمثيل))[٤]، ويقال: ((اشتبهت الامور وتشابهتْ: التبست بعضها بعضاً))[٥]، ويقال: ((تشابَهَا واشتَبَها: أشبَهَ كُلٌّ منهما الاخر حتى التبسا))[٦].

التشبيه اصطلاحا:

فقد عرف القزويني (ت٧٣٩هـ) التشبيه، فقال: ((التشبيه: الدلالة على مشاركة أمر لآخر في المعنى)) [٧].

---

(١) النقد الأدبي، احمد امين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢: ٣٨.

(٢) لسان العرب، ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مادة (شبه): ٢١٨٩/١.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٥.

(٤) لسان العرب، مادة (شبه): ٢١٨٩/١.

(٥) اساس البلاغة، الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، مادة (شبه): ٤٩٣/١.

(٦) القاموس المحيط، الفيروز آبادي (ت ٨١٧)، مادة (شبه): ٨٣٦.

(٧) الايضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع): ١٦٤.

أما الزركشي فقد عرف التشبيه فقال: "هو إلحاق شيء بذي وصف في وصفه، وقيل: أن تثبت للمشبه حكماً من أحكام المشبه به، وقيل: الدلالة على اشتراك في وصف وهو من اوصاف الشيء الواحد كالطيب في المسك والضياء في الشمس والنور في القمر، وهو حكم اضافي لا يرد إلا بين الشيئين بخلاف الاستعارة))[1].

وهذه بعض اراء العلماء في حد التشبيه، وقد يكون التشبيه احسن اذا كثرت جهات الاختلاف فيه ليكون مجال التخيل والتصور ابعد مدى ولكن ينبغي ان لا يؤدي هذا الاختلاف الى الغموض والابهام ومن ((صحة التشبيه، هو ان يقال: أحد الشيئين مثل الآخر في بعض المعاني والصفات، ولا يجوز ان يكون احد الشيئين مثل الآخر من جميع الوجوه حتى لا يعقد بينهما تغاير البت، لأن ذلك لو جاز لكان أحد الشيئين هو الآخر بعينه، وهذا محال))[2].

لذا ينبغي أن يكون الأديب دقيقا في تشبيهاته وأن يحسن الربط بينها ويعقد الصلة بين الاشياء لكي يؤدي معانيه على احسن وجه ويصور تخيلاته تصويرا بديعا[3].

والتشبيه على ثلاث أوجه:

الأول: تشبيه شيئين متفقين من جهة اللون كتشبيه الليل بالليل، والماء بالماء.

الثاني: تشبيه شيئين متفقين يعرف اتفاقهما بدليل؛ كتشبيه الجوهر بالجوهر والسواد بالسواد.

---

(١) البرهان في علوم القرآن، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت–لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م: ٣/٤١٤.

(٢) المصدر نفسه: ٢٣٥.

(٣) فنون بلاغية، احمد مطلوب، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ–١٩٧٥م: ٣٣.

الثالث: تشبيه شيئين مختلفين لمعنى يجمعهما؛ كتشبيه البيان بالسحر والمعنى الذي جمعهما لطافة التدبير ودقة المسلك[١].

والأصل في فن التشبيه انه تعبير فني، وانه ضرب من المحاكاة في تصور الشاعر للطبيعة عن طريق البحث لما يريد التعبير عنه من معاني الطبيعة او البيئة المدركة بالحس والعقل[٢].

والملاحظ بصفة عامة ان الامم في حياتها البادية وفي طورها الاول قد اعتمدت في لغتها وبيانها على الحس اكثر من اعتمادها على العقل[٣].

فالشاعر في بناء صورته تلك يجعل الصورة تدور في فلك الصفات الحسية او الذهنية المشتركة التي تجمع بين الاشياء المتباعدة وتصل الى عقل المبدع من دون عناء[٤].

وقد احتفظت الصورة التشبيهية في عصر بني الاحمر بملامح طريقة القدماء، فالاختراع والغموض في المعاني كانت من سمات هذا العصر، حتى ظهرت في غرناطة ما يمكن ان نسميه بمدرسة البيان، لذا كان اهتمامهم منصبا بإيراد الصور التشبيهية في اشعارهم وصورهم الشعرية.

---

(١) ينظر: كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٢٤٠.

(٢) ينظر: غرائب التنبيهات على عجائب التشبيهات، علي بن ظافر الازدي (ت ٦٢٣هـ)، تحقيق: محمد زغلول سلام، مصطفى الصاوي الجويني، سلسلة ذخائر العرب، العدد ٤٥، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٣: ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ١٧.

(٤) لغة الشعر في ديوان الأخطل الصغير، على عز الدين مطر الخطيب، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٠: ١١.

ومن صور التشبيه ما نجده في شعر ابراهيم بن الحاج النميري (ت٧٦٨هـ)، وهو يصف الخيل في المعارك. قائلا:

الطويل

أقــولُ لِجُــردِ الخَيــلِ قُبّــاً بُطونُهــا مُعقــــدةٌ مِنهـــا لِحَـــربِ سَبَاسِـــبُ
طَوالــعٌ مِــنْ تَحــتِ العَجــاجِ كأنهــا نَعـــامٌ بِكُثبـــانِ الصَّـــريمِ خَواضـــبُ
محجّلـــــةٌ غُـــرَّاً كـــأنّ رِعالَهـــا بِحــارٌ جَــرَت فيهــا الصَّــبا والجَنائِــبُ
مِــنَ الأعوجيَّــاتِ الصَّــوافن ترتَمــي إذا رَجَفَــت يــومَ القِــراعِ مقانــبُ[1]

فالشـاعر يصـف الخيـل ويشـبهها بالنعـام وهـي طالعـة مـن النقـع التـي خضـبت بكثبـان الرمـال، إذ أراد الشـاعر ان يبـين صـورة الخيـل التـي جهـزت للحـرب كمـا أنـه اراد وصـف سـرعتها وهـي تجـري مسـتبقة لأرض المعركـة والعجـاج الـذي تثيـره فوقهـا فشـبهها بالنعـام التـي غطـى كثبـان العجـاج عليهـا كأنهـا قـد خضـبت بـه وقـد اعتمـد التشـبيه علـى اداة التشـبيه (كـأن) فـي عقـد المشـابهة بـين الطـرفين فهـو تشـبيه تـام لكـون الاداة ظاهرة فيه.

ومن صور التشبيه قول إبراهيم بن الحاج النميري (ت٧٦٨هـ) أيضا:

الطويل

وهُـم مـا هُـم والخَيـلُ تَـردى كأنّهـا سَـفائِنُ فـي بَحـرٍ مِـن النَقـعِ مُزبـدِ[2]

فالشـاعر شـبه الخيـل فـي اسـتباقها وسـرعتها ومـا تثيـره مـن النقـع فـي سـاحات الـوغى كأنهـا سـفن سـريعة الحركـة فـي البحـر مـتلاطم كثيـر الزبـد تشـقه رغـم صـعوبته وتلاطـم امواجـه ومـا تخلفـه مـن أثـر الزبـد وراءهـا تمثـيلا لسـرعتها فهـو تشـبيه تخفـى وجـه الشـبه بـين ثنايـا العبـارة وهـو يحتـاج الـى تأمـل واعـادة فكـر للوقـوع عليـه كمـا أنـه تشبيه يوحى الى تمكن الشاعر وتفننه الى الغوص في أدق التفاصيل.

---

(١) ديوان ابراهيم الحاج النميري، تقديم وضبط: عبد الحميد عبد الله الهرامة، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣: ٤٤.

(٢) ديوان ابراهيم بن الحاج النميري: ٨٨.

ومن صور التشبيه لشعراء بني الاحمر ما نجده في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). قائلاً:

الخفيف

ولَعجـــــزِ النفـــــوسِ عـــــن دَركِ الحـــقِ وايقافهـــا وقـــوفَ افتضـــاحِ
مثـــل الله نـــورهُ فـــي المثـــاني بمثـــالِ المشـــكاةِ والمصـــباحِ[1]

فـي هـذه الأبيـات يشـبه لنـا الشـاعر كلمـة الحـق ونورهـا السـاطع كنـور المشـكاة فـي المصـباح الـذي يوضـع فـي الكـورة أي الزجاجـة وهـذا المصـباح كأنـه كوكـبٌ دُري، وهـذه الصـورة التشـبيهية تخلـق بعـدا جماليـا رائعـا إذ أن كلمـة الحـق تقتـرن بفعـل جميـل يعكـس جماليـة الصـورة التشـبيهية التـي ارادهـا الشـاعر وقـد اسـتمد الشـاعر هـذه الصـورة من قولـه تعـالى: ﴿ اللَّـهُ نُورُ السَّـمَاوَاتِ وَالْـأَرْضِ مَثَـلُ نُـورِهِ كَمِشْـكَاةٍ فِيهَـا مِصْـبَاحٌ الْمِصْـبَاحُ فِـي زُجَاجَـةٍ الزُّجَاجَـةُ كَأَنَّهَـا كَوْكَـبٌ دُرِّيٌّ يُوقَـدُ مِـن شَـجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونِـةٍ لَّـا شَـرْقِيَّةٍ وَلَـا غَرْبِيَّـةٍ يَكَـادُ زَيْتُهَـا يُضِـيءُ وَلَـوْ لَـمْ تَمْسَسْـهُ نَـارٌ نُّـورٌ عَلَـى نُـورٍ يَهْـدِي اللَّـهُ لِنُـورِهِ مَـن يَشَـاء وَيَضْـرِبُ اللَّـهُ الْأَمْثَـالَ لِلنَّـاسِ وَاللَّـهُ بِكُـلِّ شَـيْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2].

ومن صور التشبيه ما نجده في شعر يوسف الثالث ملك غرناطة (ت٨٢٠هـ)، فقد كان له نصيبا وافرا من الصورة التشبيهية. إذ يقول:

(١) ديوان لسان الدين بن الخطيب: ٢٥٤/١.

(٢) سورة النور: الآية ٣٥.

الطويل

فـإن لنـا الخيـلَ العتـاق إذا انبـرت تخـال بأيـدي الـريحَ منهـا الشـكائمُ
تخـطُ بهامـات الكمـاة محاربـاً لهـا سـاجدٌ مـنهم وآخـر قـائمُ[1]

الشاعر يصف لنا الخيل وما تمتاز به من سرعة وقوة في ساحات المعارك وأنها تسابق الرياح في سرعتها وقوتها، كما ان الشاعر قد وظف لفظتي السجود والقيام وارتباطهما بركن من اركان الايمان وهي من صفات المؤمنين القانتين الذين يخشون الله سبحانه وتعالى وقد استمد الشاعر ذلك من قوله عز وجل: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾[2].

ومن صور التشبيه في شعر يوسف الثالث (ت٨٣٠هـ)، قوله أيضا.

الطويل

بليـل كـأن الشـهب فيـه فـوارس يُسـلُّ عليهـا للبـروق صـفيحُ
فمـن بـين هـاوٍ قـد تكـدَّر واختفـى وآخـر خفـاقُ الفـؤادِ جـريحُ[3]

ففي هذه الابيات شبه الشهب وهي تتساقط بالليل بفرسان تمتطي الخيل وفي يدها سيوف بارقة لماعة وهذه الصورة التشبيهية تراها العين وذلك من اجل توصيل المعنى وتقريبه الى المتلقي.

ومن صور التشبيه ما نجده في شعر ابن فركون (ت٨٢٠هـ). قائلاً:

الطويل

هـو الظّـلُّ ظِـلُّ اللهِ تصـفو سُـتُرُهُ ويُغنـي عَـنِ الصُّـبح المبـين طهـورُهُ
هـو البـدرُ فـي أفـقِ الخلافـةِ مُعتَـلِ هو الروض كم من مجتنٍ إثر مجتلي

(١) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ٨٢٠هـ: ١١٣.
(٢) سورة الزمر: الآية ٩.
(٣) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ٨٢٠هـ: ٢١.

فللهِ مـــن بحـــر وبـــدر مكمّـــل ولله مـــن غيـــث وليـــث ومَعقـــلِ[1]

فالشاعر وفق باستخدام التشبيه البليغ في هذه الابيات في بيان رفعة ومكانة ممدوحه فهو كالبدر منزلة وهو بحر في كرمه وعطائه وفضله على قومه كما أن هذا التشبيه اعتمد على التركيب وكثرة ايراد التشبيهات في البيت الواحد وهو تشبيه متعدد يظهر فيه الشاعر سائرا على مذهب الاوائل من الشعراء في تشبيه شيئين بشيئين.

وهكذا نجد ان التشبيه كان من أكثر الأساليب البيانية التي ركن اليها شعراء بني الاحمر في ايراد الصور الحسية، ذلك ان من شعرائهم من عمد الى التشبيه لاظهار براعته وقدرته الشعرية من خلال هذه الصور التشبيهية التي غالبا ما عبرت عما يشعر به الشاعر من احاسيس ومشاعر تعكس ذلك من خلال اشعاره التي كانت كالمرآة التي تعكس ما بداخله من مشاعر وأحاسيس.

(١) ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق: محمد بن شريفة، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م: ٢٣٨.

المبحث الثاني

الصورة الاستعارية

الاستعارة لغة:

يقال: استعارَهُ الشيء واستعارَهُ منه: طلبَ منهُ أن يُعيرهُ اياهُ[١].

الاستعارة اصطلاحا:

بدأ تعريف الاستعارة يأخذ طابعاً أكثر وضوحا عما سبقه، لذا عرفها القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) بقوله: ((الاستعارة ما اكتفي فيها بالاسم المستعار عن الاصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها. وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه وامتزاج اللفظ بالمعنى حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في احدهما اعراض عن الاخر))[٢].

أما العسكري (ت٣٩٥هـ) فقد عرف الاستعارة فقال: ((انها نقل العبارة عن موضع استعمالها في اصل اللغة إلى غيره لغرض))[٣].

اما ابن فارس (ت٣٩٥هـ) فقد عرف الاستعارة بقوله: ((هي ان يضعوا الكلمة للشيء مستعار من موضع آخر))[٤].

ولما جاء عبد القاهر (ت٤٧١هـ) نظر الى الاستعارة نظرة دقيقة فيها تحديد وعمق فقال: ((الاستعارة ان تريد تشبيه الشيء فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره وتجيء الى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه))[٥].

---

(١) لسان العرب ابن منظور (ت ٧١١هـ)، مادة (عور): ٣١٦٨/١.

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه، ابو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد ابو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه: ٤١.

(٣) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٢٦٨.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م: ١٥٤-١٥٥.

(٥) دلائل الاعجاز في علم المعاني، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الاصل، الجرجاني الدار (ت٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر ابو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٩٢م: ٦٧.

تعد الاستعارة من وسائل تشكيل الصورة الشعرية ومن خصائصها ((انها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ))[١]، فالاستعارة اكثر قدرة في المقارنة بين الاشياء فهي تمتلك القدرة على ((ايقاع الدهشة والمفاجأة بالنسبة للمستمع، كأنها أحجية او لغز يختبر ذكاء المستمع ويبهر عقل المتلقي))[٢].

فالاستعارة هي اسلوب متطور عن التشبيه للتعبير عن الاحاسيس والمشاعر اتجاه الاشياء وهي متنفس الشاعر للتعبير عن انفعالاته النفسية والعاطفية فالشعراء يعمدون اليها اذا ما ارادوا ميدانا اوسع واكثر ايحاء ودلالة واكثر نضجا، ((وفضل الاستعارة وما شاكلها على الحقيقة انها تفعل في نفس المتلقي ما لا تفعله الحقيقة))[٣].

أنواع الاستعارة:

أولا: الاستعارة المكنية:

ثانياً: الاستعارة التصريحية:

ومن الاستعارة عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر ابن الابار القضاعي (ت٦٥٨هـ). قائلا:

الكامل

طَافَت بطائِفة الهُدى آمالُها ترجو بيحيى المُرتَضى إحياءَهَا
واستَشرَقَت أمصَارُها لإمارةٍ عَقَدت لنَصر المستَضام لواءَها[٤]

(١) اسرار البلاغة: ٤٣.
(٢) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب: ١٦٨.
(٣) كتاب الصناعتين الكتابة والشعر: ٢٦٩.
(٤) ديوان ابن الابار القضاعي: ٣٦.

والاصل هنا انه استعار صفة الانسان للامال، فقد شبه الامال بانسان يطوف وحذف المشبه به ونزل شيئا من لوازمه وهو من الاستعارة المكنية ليدل عليه على سبيل الاستعارة المكنية، والقصيدة كانت في معرض الحث على الجهاد وقتال اعداء بني الأحمر.

ومن صور الاستعارة ايضا عند ابن الابار القضاعي (ت٦٥٨هـ). قوله:

البسيط

وقُمْتَ للدّين إفْصاحاً بنصْرَتِه فاستَنْفَرتْ عندها الدُّنيا تُهنّئُهُ
قد كانَ مُنتهَكاً جسْمُ الهُدى مَرَضاً وأنتَ رُوحٌ لهُ مازِلتَ تبرئُهُ[1]

ففي هذه الأبيات يشير ابن الأبار بالانتصارات التي حققها بنو الاحمر والتغلب على الاعداء في المعارك والبيتين السابقين فيهما استعارتان:

الأولى: قوله: (الدنيا تهنئه) حيث شبه الدنيا بانسان يهنئ وهو على سبيل الاستعارة المكنية حيث حذف المشبه به وترك شيئا من لوازمه ليدل عليه على سبيل الاستعارة المكنية.

والثانية: قوله: (جسم الهدى) والاصل انه اشبه الهدى بانسان له جسم وحذف المشبه به وترك شيئا من لوازمه ليدل عليه على سبيل الاستعارة المكنية.

ومن صور الاستعارة ما نجده في شعر ابراهيم بن الحاج النميري (ت٧٦٨هـ). قائلاً:

الطويل

ونُعمى أتَت تَترى كما وافت الصبا فَحرَت ذَيولُ الروضِ عاطِرَةَ النشرِ
وحُسنى أتَت في إثرِ حُسني كما أتى إلى الروضِ إثر الغيثِ منسكِبُ النهرِ
وإقبالُ ملكٍ راق بالعِز تاجُهُ كما راقَ تاجُ الأفقِ بالأنجُمِ الزُّهرِ[2]

فالشاعر يصور بشائر النصر التي بدت تتوالى بتولي السلطان النصري الحكم، وهذه البشائر استطاع الشاعر اخراجها الى ارض الواقع نستطيع ادراكها فهي كالغمام الذي يجر بذيله محاسنه على الروض فينشر عبقه وأريجه لتفتح زهور

(١) ديوان ابن الابار القضاعي:٤٢.
(٢) ديوان ابراهيم بن الحاج النميري: ١١٤.

تلك الرياض، كما ان الشاعر جعل للعز تاج يقلد به، وجعل للنصر توالي بشائر النصر ثغراً، إذ أن الشاعر جسد المعنى وجعل له وجوداً نلحظه ونراه.

ومن الاستعارة ما نجده في شعر ابن خاتمة الانصاري (ت٧٧١هـ).

البسيط

روضٌ كَساهُ الرضي ممن طِيبه خِلَعاً فليس يعرى مُحب من هواهُ كُسي[١]

ان الشاعر في هذا البيت قد جسم الرضى وجعله ثوبا جميلا يُلبس للدلالة على كمال فضل الله عز وجل وكثير نعمائه، فلا يُعرى من تعلق بمحبته عز وجل ورضي بآلائه وفضله، وهو من المضامين الدينية التي استخدمها الشاعر في شعره.

وعلى أساس هذه المعاني والمضامين البلاغية والبيانية وجودة التصوير جعل الشاعر الاندلسي الاستعارة احدى الوسائل التي توحد الصورة الشعرية في اشعارهم مستمدين من خلالها قوة الايحاء والتعبير وسعة الخيال ونقل صورة متكاملة الى المتلقي باقل الكلمات واشمل المعاني.

(١) ديوان ابن خاتمة الانصاري: ٣٤.

المبحث الثالث

الصورة الكنائية

الكناية لغة:

الكناية ((إن تتكلم بشيء وتريد به غيره))[١].

ويقال ((كنى عن الامر بغيره يكنى كناية إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه))[٢].

الكناية اصطلاحا:

الكناية ((لفظ أُريد به لازم معناه مع جواز ارادة معناه حينئذ، كقولك: ((فلان طويلُ النجاد أي طويل القامة، وفلانة نؤوم الضحى اي مُرفهةٌ مخدومةٌ))[٣].

والكناية ((أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء الى معنى هو تاليه وردفه في الوجود فيومئ اليه، ويجعله دليلا عليه))[٤].

والكناية: ((ترك التصريح بذكر الشيء الى ذكر ما يلزمه لينتقل من المذكور الى المتروك كما نقول فلان طويل النجاد لينقل منه على ما هو ملزومه وهو طول القامة...))[٥].

إنَّ الكناية لها بلاغة تشعر بها وأنت تمعن النظر في محتوى القول والخطاب الشعري الذي يضم في جوفه معنى مجازي خفي يحتاج المتلقي الى التأمل وتفكير مشحون بما لديه

---

(١) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، راجعه واعتنى به: محمد محمد ثامر، انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م، مادة (كنى): ١٠١٣.

(٢) لسان العرب، ابن منظور (٧١١هـ) مادة (كنى): ٣٩٤٤/١.

(٣) الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع: ٢٤١.

(٤) دلائل الاعجاز، الجرجاني (ت ٤٧١هـ): ٦٦.

(٥) مفتاح العلوم، السكاكي (ت ٦٣٦هـ): ٤٠٢.

من معرفة بخفايا التعبير واسرار اللغة ((ففي الصورة الكنائية ايهام، لكنه ليس لغزا، وانما ايهام مفتاحه معه، والمتلقي حينما يتعرف على المعنى الذي يقصده الشاعر ويشير اليه في الصورة الكنائية بعد معاناة وتفكير يحس بمتعة وسعادة، فالنفس بطبيعتها تشعر بسعادة غامرة حينما تظفر بالشيء بعد طول معاناة وتعب من اجل الحصول عليه))[١].

فالكناية هي اساس نفسي وعقلي يمتد بين المنشئ للكناية والمبدع لافانينها وبين مخاص سامع لها، فتتمثل الكناية على انها دليل وشاهد يختاره الاديب عن وعي او عن غير وعي، فيكون رسولا منه لاقناع مخاطبه وسامعه، وعلى هذا الاساس تتولد من الكناية معانيها المسترسلة المتتابعة المتحددة، التي تصل من وجدان مديحها وفكره الى عقل متلقيها[٢].

ومن صور الكناية عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر ابن سهل الاندلسي (ت٦٤٩هـ). قولهُ:

الكامل

إن الإلـــه قـــد اشـــترى أرواحكـــم بيعـــوا ويهنكمُـــو ثـــواب المشـــتري[٣]

فالبيت فيه كناية وهو قوله: ((يهنكمو ثواب المشتري)) وفيه دلالة على الثمن وهو الجنة، وفيه دلالة على عظم الشاري وهو الله سبحانه وتعالى فأنه قد اشترى ارواحهم وكان الثمن هو الجنة التي يظفر بها كل مسلم وفي هذا البيت خطاب ديني على الالتزام بمبادئ الاسلام الحنيف.

---

(١) الاوس النفسية لاساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م: ٢٣٠.

(٢) البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب، كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط٢، ١٤٢٠هـ–١٩٩٩م: ٣٨٠.

(٣) ديوان ابن سهل الاندلسي: ٣٥.

ومن صور الكناية عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر ابن الابار القضاعي (ت٦٥٨هـ). قوله:

الكامل

رِشْ أيهـــا المَـــولى الـــرَحِيمُ جناحَهَـــا واعقِـــد بأرشـــية النَجـــاةِ رِشـــاءَها[١]

فقوله (رش جناحا) كناية عن عودة القوة والنجاح، وفيه دلالة على طلب النصرة للجيش والتعبير برش الجناح دلالة عن القوة.

ومن صور الكناية عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر ابو حيان الاندلسي (ت٧٤٥هـ) في الصبر على الظلم. قوله:

الوافر

فلَســـتُ بعاتـــبٍ أبنـــاءَ دَهـــرِي ولســـتُ بماقـــتٍ جَـــورَ الليـــالي

كفـــاني رُتبـــةٌ أن صـــرتُ فَـــرداً فمـــالي فـــي المعـــالي مـــن مِثـــالِ[٢]

فالشاعر هنا ليس ممن يعاتب ابناء دهره؛ لأنه ليس ممن يمقتون ظلم الليالي وجورها، ففي هذا البيت كناية عن صبره عن الظلم وعدم اخذه حقه من دنياه وقد كنى عن الناس بـ(ابناء الدهر).

ومن صور الكناية عند شعراء بني الاحمر ما نجده في شعر لسان الدين بن الخطيب (ت٧٧٦هـ). قوله:

الكامل

بشـــرى يَقـــومُ لهـــا الزمـــانُ خطيبـــاً وتـــأرَّجُ الآفـــاقُ منهـــا طِيبـــاً

....

أظهـــرتَ ديـــنَ الله فـــي ثغـــر العـــدى وقهـــرتَ تمثـــالاً بـــه وصـــليباً[٣]

وردت الكناية في هذه الابيات حيث جعل البشرى كناية يقوم لها الزمان، فالبشرى تأتي بكل ما هو جميل ومحبوب، كذلك يصف البشرى بالنصر، واظهار دين الله في ارض العدى

---

(١) ديوان ابن الابار القضاعي: ٣٥.

(٢) ديوان ابو حيان الاندلسي ٧٤٥هـ: ٣٤٥.

(٣) ديوان لسان الدين بن الخطيب ٧٧٦هـ: ١٠٣/١.

وقد استمد الشاعر ذلك من قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1] فالله تعالى هو الذي ارسل رسوله محمد (ﷺ) بالهدى وبالحق والرشاد ونشر دين الله في الارض ولو كره المشركون.

ومن صور الكناية في شعر ابن زمرك (ت٧٩٧هـ). قوله:

الكامل

طَلَعَ البَشيرُ بها على أَهلِ الهُدى فَمُهلِّلٌ لطلوعهَ ومُكَبِّرُ[2]

فالشاعر هنا يتحدث عن فتوحات الغني بالله، فعندما طلع البشير الذي يحمل نبأ هذه الفتوحات للمسلمين هللوا وكبروا لطلوعه فأهل الهدى هم المسلمون والتهليل والتكبير كناية عن الرضا، وهي كناية عن صفة.

ومن صور الكناية ما نجده في شعر يوسف الثالث ملك غرناطة (ت٨٢٠هـ). قوله:

الطويل

منزلهُ حيث الخيامُ منيعةُ معاذ حماها أن يُضام نزيلها[3]

فالشاعر هنا يصف منازله بأنها منيعة وحصينة على الاعداء وفيها كناية على انه ملك قوي يهابه الاعداء لا ينقض ولا يعتدى عليه.

فللكناية وظيفة جمالية ايحائية وذلك لكونها تخرج المعنى بحلة جديدة مبتكرة يكون للخيال دور فعال في صياغتها، فهي تحول المعاني والاوصاف الى عالم جديد محسوس مما يجعل المتلقي في حالة من الاستغراب والتعجب وهو يتأمل خفاياها ويحاول الكشف عن مراد الشاعر ونفسيته ومشاعره فالصورة والاشكال التي يوردها الشاعر ما هي الا وسيلة نكشف من خلالها عن مشاعر الاديب وأحاسيسه التي تختفي بين ثنايا العبارات والتي تحتاج الى طول تأمل وتدبر للوقوف عليها فالشاعر يحاول اخراج مشاعره واحاسيسه بأرقى العبارات

---

(١) سورة الصف: الآية ٩.

(٢) ديوان ابن زمرك ٧٩٧هـ: ٤٣.

(٣) ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث ٨٢٠هـ: ٩٩.

والصور الموحية والمعبرة التي تشد المتلقي وتجعله ينفعل ازاءها، لذا كانت الكناية احد الاساليب التي ركن اليها شعراء بني الاحمر في التعبير عن مرادهم ومعانيهم لما لها من فضل في اخراج المعنى بطريقة جميلة ذات رونق تبعث الى التأمل والغوص من اجل التعرف على مراد الشاعر، لذا كانت الكناية احد الاساليب التي استعان بها شعراء بني الاحمر في اوصافهم فهي خير وسيلة للتعبير عن معانيهم ومقاصدهم.

الخاتمة ونتائج البحث

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد (ﷺ)، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، رضيَّ الله عنهم أجمعين.

وفي نهاية رحلتنا لبحثنا الموسوم (تجليات الخطاب الديني في الشعر الأندلسيّ عصر بني الأحمر، دراسة تحليلية)، قد توصلنا إلى جملة من النتائج وهي على النحو الآتي:

١- كان شعر سقوط المدن تعبيرا صادقا عما يشعر به هؤلاء الشعراء من حزن وأسى على فقدان مدنهم التي سقطت بيد النصارى فقد عبر عن الحالة النفسية التي يعيشها هؤلاء فانعكس ذلك في خطابهم الديني الذي حثهم على الصمود والقتال والدفاع عن مدنهم ضد هؤلاء الاعداء والطامعين.
٢- رافق شعر الدعوة الى استنهاض الهمم شعر سقوط المدن فكلما سقطت مدينة من المدن الاندلسية هب الشعراء للاستنجاد بإخوانهم للدفاع عن مدنهم وخاصة من العرب المسلمين في المغرب العربي لقربهم اليهم.
٣- ايقن هؤلاء الشعراء بحتمية الموت، وانه لا سبيل لإيقافه لأنه امر محتوم مقدر من الباري عز وجل فانعكس ذلك في شعرهم وخطابهم الديني.
٤- برز عند البعض منهم ان الموت غاية مرجوة، وان الحياة منبوذة مذمومة فتردد في شعرهم الانقطاع عن الحياة وذكر الموت والمعاد.
٥- من مقومات الخطاب الديني الاقتباس والتضمين من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكذلك الاقتباس من قصص القرآن حتى لا يكاد يخلو ديوان شاعر او قصيدة من القصائد الا وقد وجدنا فيها اقتباسا من القرآن الكريم والحديث الشريف وكان هذا دليلا على تمسكهم بالدين الاسلامي وكذلك ايضا اظهار حبهم للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) من خلال اقتباسهم للحديث الشريف كما افاد الشعراء من اقتباسهم لقصص القرآن لمشابهة بعض احداثهم مع القصص القرآنية المشابهة لحالهم.
٦- كان القرآن الكريم رافداً عذباً ينهل منه شعراء بني الاحمر الفاظهم ومعانيهم مما اثرى تجاربهم الشعرية وبرز ذلك في خطابهم الديني.

٧- ضمن شعراء بني الاحمر شعرهم من شعر من سبقهم من الشعراء وكذلك تضمين شعرهم بعض الامثال العربية وكان ذلك دليلا على ثقافتهم وكثرة اطلاعهم.

٨- سيطرة المرجعية الدينية على الكثير من هؤلاء الشعراء وظهر ذلك من خلال اشعارهم مما يدل على وازعهم الديني ولاسيما عند لسان الدين بن الخطيب وابن جابر الاندلسي اللذان اكثرا من المضامين الدينية.

٩- حرص الكثير من الشعراء على التقرب من أصحاب النفوذ والسياسة، مما دفعهم إلى مدحهم واظهارهم في مظهر جعلهم يتفردون عن غيرهم من طبقات المجتمع ولم يكن شعراء غرناطة بمعزل عن هؤلاء فانتشر المديح بينهم ولم يتركوا مناسبة إلا وأحسنوا استغلالها من أجل هذه الغاية، فمدحوا الملوك والأمراء والوزراء وغيرهم ممن كان لهم كلمة في الدولة وحاولوا في مدحهم اظهار ملوك بني الاحمر بأنهم ملوك شرعيون لهذه الأمة، وهذه الشرعية مستمدة من نسبهم للصحابي الجليل سعد بن عبادة الذي ينتمي إلى الأنصار الذين وقفوا مع الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) في دعوته.

١٠- كان شعر هؤلاء الشعراء امتداد لما سبقه من شعر العصر الجاهلي والعصور اللاحقة وخاصة العصر العباسي فانعكس ذلك على مخزونهم من الشعر العربي قديمه وحديثه، فكان شعرهم شعراً اصيلاً وهو امتداد للشعر العربي في المشرق.

١١- أكثر الشعراء في خطابهم الديني من الاشارة لسيرة النبي (ﷺ) وكذلك سيرة الصحابة والتابعين وعدالتهم (رضوان الله عليهم) ودفاعهم عن الدين والإسلام.

١٢- مثلت الصورة البيانية مكاناً بارزاً في تصوير الشعراء لأحاسيسهم ومشاعرهم في خطابهم الديني لاسيما التشبيه وعلى وجه الخصوص التشبيه البليغ الذي مثل مركز الصدارة في صناعة الصورة الشعرية لدى شعراء بني الأحمر، وربما يعود ذلك إلى رغبة هؤلاء الشعراء في الصاق الصفات بممدوحيهم وجعلها متأصلة بهم.

١٣- عمد شعراء بني الاحمر إلى استخدام الاستعارة في خطابهم الديني فهي اقدر على تحقيق التخيل لدى المتلقي وذلك لأن الاستعارة من أدق اساليب البيان تعبيرا وأرقها تأثيرا وأجملها تصويرا وأكملها تأدية للمعنى.

١٤- أكثر شعراء بني الاحمر من استخدام الكناية في خطابهم الديني وهذا يدل على تمكنهم ومقدرتهم العالية في استعمال الاساليب التي تحتاج الى مهارة وخبرة عالية.

وهنا لابدَّ من الاشارة في هذا الموضع إلى أنَّ ابداع شعراء الأندلس عامة وشعراء بني الأحمر خاصة في هذا الجانب كان متأتيًا من جمال طبيعة الأندلس الخلابة، الذي شحن قرائحهم وجعلها تبدع، كما أنَّ أغلب الامراء والوزراء كان لهم اهتمامًا كبيرًا في الأدب، بل إنَّ قسمًا منهم كان يمارس الفنون الأدبية كامنة، ولا ننسى في هذا الجانب التأثير المشرقي وما تركه من آثار بينة واضحة على أداء شعراء الأندلس فقد كانوا مثلهم الأعلى في كل شيء.

أمَّا التوصيات التي نوصي بها فهي:

وجوب دراسة هذا العصر وذلك لتسليط الضوء على هذه الفترة من تاريخ الحضارة الإسلامية في الأندلس التي امتدت لأكثر من قرنين ونصف من الزمن، برز فيها الكثير من العلماء والأدباء والمفكرين في مختلف المجالات، وقد حاول الأعداء طمس هذه الحضارة بشتى الأساليب والطرق .

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- ابن حزم وموقفه من الالهيات عرض ونقد، احمد بن ناصر الحمد، جامعة ام القرى، الرياض، ١٩٨٣.

٢- الاتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت–لبنان، ط١، ١٤٢٩هـ–٢٠٠٨م.

٣- آثار البلاد واخبار العباد، زكريا بن محمود القزويني (ت ٦٨٢هـ)، دار صادر، بيروت.

٤- أثر التصوف في الشعر الاندلسي في عصر بني الاحمر، فاطمة ابراهيم عبد الفتاح محيسن، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، الجامعة الاردنية، ٢٠١٠.

٥- أثر القرآن الكريم في الأدب العربي في القرن الأول الهجري، ابتسام مرهون الصفار، مطبعة اليرموك، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ–١٩٧٤م.

٦- أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الاندلسي منذ الفتح حتى سقوط الخلافة ٩٢–٤٢٢هـ، محمد شهاب العاني، دار دجلة، عمان، ط١، ٢٠١٠.

٧- أثر القرآن الكريم في الشعر العربي دراسة في الشعر الاندلسي منذ الفتح وحتى سقوط الخلافة ٩٢–٤٢٢هـ.

٨- أثر القرآن الكريم في الشعر العربي، شلتاغ عبود شراد، دار المعرفة، دمشق، ط١، ١٤٠٨هـ–١٩٨٧م.

٩- الاحاطة في اخبار غرناطة، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، حقق نصه ووضع مقدمته وحواشيه: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.

١٠- الادب الاندلسي في الموسوعات الادبية في العصر المملوكي، نضال سالم النوافعة، اطروحة دكتوراه، جامعة مؤتة، ٢٠٠٨.

١١- الأدب الاندلسي من الفتح الى سقوط الخلافة، احمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥.

١٢- الادب الاندلسي موضوعاته وفنونه، مصطفى الشكعة، دار العلم للملايين، بيروت، ط١٢، ٢٠٠٨.
١٣- الادب العربي في الاندلس، عبد العزيز عتيق، دار الافاق العربية، القاهرة، ٢٠٠٥م.
١٤- أدب المحنة الإسلامية، الربعي بن سلامة، الجامعة الأردنية، الأردن، ١٩٩٠.
١٥- ازهار الرياض في اخبار القاضي عياض، شهاب الدين احمد بن محمد بن يحيى المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: مصطفى السقا، ابراهيم الايباري، عبد العظيم شلبي، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٥٨هـ-١٩٣٩م.
١٦- أساس البلاغة، ابو القاسم جار الله محمد بن عمر بن احمد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
١٧- اساليب البيان، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٧.
١٨- استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، علي عشري زايد، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.
١٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين ابي الحسين علي بن محمد الجزري المعروف بابن الاثير (٥٥٥-٦٣٠هـ)، دار ابن حزم، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٢٠- اسرار البلاغة في علم البيان، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الاصل الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.
٢١- الاسس الجمالية في النقد الادبي، عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢.
٢٢- الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٣٩.
٢٣- اشهر الخطب ومشاهير الخطباء، سلامة موسى، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م.

٢٤- أصوات الهزيمة في الشعر الاندلسي، يوسف عيد، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٣.
٢٥- أصول النقد الادبي، احمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١٠، ١٩٩٤.
٢٦- الاقتباس من القرآن الكريم في الشعر العربي، عبد الهادي الفكيكي، دار النمير للنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط١، ١٩٩٦.
٢٧- الاقتباس من القرآن الكريم، ابو منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ)، تحقيق: ابتسام مرهون الصفار، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط١، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
٢٨- آليات الخطاب الديني المتجدد عبر تطبيقات الاعلام الرقمي، بوزيد فائزة، جامعة بخضير بسكرة، مجلة الخطاب والتواصل، الجزائر، العدد السابع، ٢٠٢٠.
٢٩- الاندلس في عهد بني الاحمر دراسة تاريخية وثقافية ٦٣٥-٨٩٧هـ/١٢٣٨-١٤٩٢م، بوحسون عبد القادر، اطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية، الجزائر، ٢٠١٢-٢٠١٣.
٣٠- الاوس النفسية لاساليب البلاغة العربية، مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
٣١- الايضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد (ت ٧٣٩هـ) وضع حواشيه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٢م.
٣٢- البديع في البديع، ابو العباس عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي (ت ٢٩٦هـ)، دار الجيل، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.
٣٣- البرهان في علوم القرآن، ابو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، بيروت-لبنان، ط١، ١٣٧٦هـ-١٩٥٧م.
٣٤- البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: ابي الفضل الدمياطي، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.

٣٥- بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الأدب، القاهرة، ١٩٩٩.
٣٦- بلاغة العرب في الاندلس، احمد ضيف، مطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، مصر، ط١، ١٣٤٢هـ-١٩٢٤م.
٣٧- البلاغة والتطبيق، احمد مطلوب، كامل حسن البصير، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط٢، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٣٨- البيان والتبيين، ابو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكناني الشهير بالجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال، بيروت.
٣٩- تاريخ ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢-٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
٤٠- تاريخ الأدب الاندلسي عصر سيادة قرطبة، تحقيق: احسان عباس، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٦٩.
٤١- تاريخ الادب الاندلسي، محمد زكريا عناني، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٩م.
٤٢- تاريخ الادب العربي في الاندلس، ابراهيم ابو الخشب، الفكر العربي، ط١، ١٩٦٦.
٤٣- تاريخ الادب العربي، هاشم ياغي، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط١، ٢٠٠٥.
٤٤- تاريخ المغرب والاندلس، صادق جودت، منشورات جامعة القدس المفتوحة، عمان، ط١، ١٩٩٧.
٤٥- تاريخ قضاة الاندلس، النباهي ابو الحسن علي بن عبد الله محمد بن محمد بن الحسن الجذامي النباهي المالقي الاندلسي (ت ٧٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٤٦- تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان اعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن ابي الاصبع العدواني البغدادي المصري (ت ٦٥٤هـ)، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة التراث الإسلامي.

٤٧- تحليل الخطاب الديني في ضوء نظرية احداث اللغة دراسة تطبيقية لاساليب التأثير والاقناع الحجاجي في الخطاب النسوي في القران الكريم، دار النشر للجامعات، القاهرة، ط١.

٤٨- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.

٤٩- التناص القرآني دراسة في اشكال العلاقة بين الآيات الكريمة، ياسر رضوان، افريقيا الشرق، المغرب، ٢٠١٢.

٥٠- الثقافة الإسلامية تعريفها مصادرها مجالاتها تحدياتها، مصطفى مسلم، فتحي محمد الزغبي، اثراء للنشر والتوزيع، عمان-الاردن، ط١، ٢٠٠٧.

٥١- جامع البيان عن تأويل القرآن، ابو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤-٣١٠هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٥٢- الجامع الكبير في صناعة المنظوم من الكلام والمنثور، ضياء الدين بن الاثير الجزري، تحقيق: مصطفى جواد، جميل سعيد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٥هـ-١٩٥٦م.

٥٣- الجامع المسند الصحيح المختصر من امور رسول الله (ﷺ)، صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصري، دار طوق النجاة.

٥٤- الحركة الشعرية في الاندلس (عصر بني الاحمر)، ايمن يوسف ابراهيم جرار، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٧.

٥٥- الخطاب الاسلامي والتنمية في المجتمع المصري، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، القاهرة، ٢٠٠٩.

٥٦- الخطابة فن التأثير والاقناع، احمد عطا اسماعيل، دار المحجة البيضاء للطباعة والنشر والتوزيع.

٥٧- دراسات في تاريخ المغرب والاندلس، احمد مختار العبادي، مؤسسة شباب الجامعة، اسكندرية.
٥٨- دلائل الاعجاز في علم المعاني، ابو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الاصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر ابو فهر، مطبعة المدني، القاهرة، دار المدني بجدة، ط٣، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.
٥٩- ديوان ابراهيم الحاج النميري، تقديم وضبط: عبد الحميد عبد الله الهرامة، المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣.
٦٠- ديوان ابن الابار القضاعي، ابي عبد الله محمد بن الابار القضاعي البلنسي (٥٩٥-٦٥٨هـ)، قراءة وتعليق عبد السلام الهراس، ١١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.
٦١- ديوان ابن الجنان الانصاري الاندلسي، تحقيق: منجد مصطفى بهجت، مكتبة يسار العرب، ١٤١٠هـ-١٩٩٠.
٦٢- ديوان ابن جابر الاندلسي محمد بن احمد بن علي الضرير، جمعه احمد فوزي الهيب، دار سعد الدين للطباعة والنشر، دمشق، ط١، ٢٠٠٧.
٦٣- ديوان ابن خاتمة الانصاري احمد بن علي بن محمد بن علي بن محمد بن خاتمة الانصاري الاندلسي (ت٧٧٠هـ)، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، دار الفكر، دمشق، سورية، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.
٦٤- ديوان ابن زمرك الاندلسي محمد بن يوسف الصريحي (٧٣٣-٧٩٧هـ)، حقق الديوان وقدم له ووضع فهارسه: محمد توفيق النيفر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٦٥- ديوان ابن سهل الاندلسي، دراسة وتحقيق: يسرى عبد الغني عبد الله، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط٣، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
٦٦- ديوان ابن فركون، تقديم وتعليق: محمد بن شريفة، مطبوعات اكاديمية المملكة المغربية سلسلة التراث، ط١، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.
٦٧- ديوان ابو حيان الاندلسي، تحقيق: احمد مطلوب، خديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

٦٨- ديوان ابي الطيب صالح بن شريف الرندي (٦٨٤هـ-١٢٨٥م) في اعماله الادبية الشعر والنثر، تحقيق ودراسة: حياة قارة، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، ط١، ٢٠١٠.
٦٩- ديوان ابي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٧٠- ديوان ابي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
٧١- ديوان المتنبي، ابو الطيب احمد بن الحسين الجعفي المتنبي (٣٠٣-٣٥٤هـ)، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
٧٢- ديوان النابغة الذبياني، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٢.
٧٣- ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط٥، ٢٠٠٩.
٧٤- ديوان لسان الدين بن الخطيب السلماني (ت٧٧٦هـ)، صنعه وحقق وقدم له: محمد مفتاح، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الدار البيضاء، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.
٧٥- ديوان ملك غرناطة يوسف الثالث (ت ٨٢٠هـ)، تحقيق: عبد الله كنون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٥.
٧٦- الروض المعطار في خبر الاقطار، ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري (ت ٩٠٠هـ)، تحقيق: احسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٨٠.
٧٧- زهر الآداب وثمر الالباب، ابو اسحاق ابراهيم بن علي الحصري القيرواني، حققه وضبطه وشرحه ووضع فهارسه: علي محمد البجاوي، دار احياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٣٧٢هـ-١٩٥٣م.
٧٨- سر الفصاحة، ابو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، تحقيق: علي فوده، مكتبة الخانجي، مصر، ط١، ١٣٥٠هـ-١٩٣٢م.
٧٩- السنة قبل التدوين، محمد عجاج الخطيب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٨٠- شعب الايمان، احمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجودي الخرساني ابو بكر البيهقي (ت ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع، الرياض، كتاب شعب الايمان، باب فصل في زهد النبي (ﷺ) برقم (١٣٩٣)، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.
٨١- شعر ابي بركات بن الحاج البلفيقي (٦٨٠-٧٧١هـ)، تحقيق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، الامارات، ط١، ١٩٩٦.
٨٢- الصاجي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: محمد علي بيضون، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.
٨٣- صبح الاعشى في صناعة الانشاء، ابو العباس احمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط).
٨٤- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ابو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، راجعه واعتنى به: محمد محمد ثامر، انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
٨٥- الصورة الادبية تاريخ ونقد، علي علي صبح، دار احياء الكتب العربية.
٨٦- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، جابر احمد عصفور، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٢.
٨٧- الصورة الفنية في المثل القرآني، محمد حسين الصغير، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.
٨٨- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت ٢٣٠هـ)، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.
٨٩- ظاهرة الانتماء في الادب الاندلسي، عبد الله بن علي بن ثقفان، تونس.
٩٠- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابو الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (ت ٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ط٢، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م.

٩١- عيار الشعر، ابو الحسن محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن طباطبا (ت ٣٢٢هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المانع، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٩٢- غرناطة في ظل بني الاحمر، يوسف شكري فرحات، دار الجيل، بيروت-لبنان، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٩٣- فن الخطابة واعداد الخطيب، علي محفوظ، دار الاعتصام.
٩٤- فن الخطابة، احمد محمد الخوفي، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
٩٥- الفن ومذاهبه في الشعر العربي، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط١٠، ١٩٦٠م.
٩٦- فنون بلاغية البيان البديع، احمد مطلوب، دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
٩٧- في الادب الاندلسي تطوره موضوعاته وأشهر اعلامه، علي محمد سلامة، الدار العربية للموسوعات.
٩٨- في الادب الاندلسي، جودت الركابي، دار المعارف، القاهرة، ط٨.
٩٩- في الادب الاندلسي، محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
١٠٠- في الربوع الاندلسية، سامي الكيالي، مكتبة الشرق، حلب-سوريا، ١٩٦٣.
١٠١- القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: انس محمد الشامي، زكريا جابر احمد، دار الحديث، القاهرة.
١٠٢- قراءات في الشعر الاندلسي، صلاح جرار، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الاردن، (د.ت).
١٠٣- قصة الادب في الاندلس، محمد خفاجة، منشورات مكتبة المعارف، بيروت، ١٩٦٢.
١٠٤- قضايا اندلسية، بدير متولي حميد، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٤.
١٠٥- قواعد الشعر، ابو العباس احمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني المعروف بثعلب(ت ٢٩١هـ)، تحقيق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٩٩٥.

١٠٦- القيم الجمالية في الشعر الاندلسي عصري الخلافة والطوائف، أزاد محمد كريم الباجلاني، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
١٠٧- كتاب الحيوان، ابو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، مصر، ط٢، ١٣٨٥هـ-١٩٦٥م.
١٠٨- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، ابو هلال الحسن بن عبد الله سهل العسكري (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧١هـ-١٩٥٢م.
١٠٩- كتاب العين، ابو عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ)، تحقيق: مهدي المخزومي، ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
١١٠- كناسة الدكان بعد انتقال السكان، لسان الدين ابن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، تحقيق: محمد كمال شبانة، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، وزارة الثقافة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر.
١١١- كوثر المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، محمد الخضر بن سيد عبد الله بن احمد الجكني الشنفيطي (ت ١٣٥٤هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، كتاب المعاني الدراري في كشف خبايا صحيح البخاري، باب رجاله ستة، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٥م.
١١٢- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي ابو الفضل جمال الدين بن منظور الانصاري الرويفعي الافريقي (ت ٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، محمد احمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
١١٣- لغة الشعر في ديوان الأخطل الصغير، على عز الدين مطر الخطيب، رسالة ماجستير، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، بغداد، ٢٠٠٠.
١١٤- اللمحة البدرية في الدولة النصرية، لسان الدين بن الخطيب (ت ٧٧٦هـ)، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٤٧هـ.

١١٥- المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، أبو الفتوح نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الجزري ضياء الدين المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٧هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٢٠هـ.
١١٦- مجمع الامثال، ابو الفضل احمد بن محمد بن ابراهيم الميداني النيسابوري (ت ٥١٨هـ)، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت-لبنان.
١١٧- مدخل الى الادب الاندلسي يوسف الطويل، دار الفكر، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩١.
١١٨- مستدرك على الصحيحين، ابو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، كتاب البيوع، برقم ٢١٦٩، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م.
١١٩- المسند الصحيح المختصر، مسلم بن الحجاج ابو الحسن النيسابوري(ت ٢٦١هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار احياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
١٢٠- المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب دراسة معجمية، نعمان بوقرة، جدارا للكتاب العالمي، عمان-الاردن، ط١، ٢٠٠٩.
١٢١- المضامين الدينية والتراثية في الشعر الاندلسي في القرن الرابع الهجري، فائزة رضا شاهين العزاوي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة تكريت، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
١٢٢- مظاهر الحضارة في الاندلس، في عصر بني الاحمر، احمد محمد الطوخي، مؤسسة شباب الجامعة، ط١، ١٩٩٧.
١٢٣- معجم البلدان، شهاب االدين ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي (ت ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت-لبنان، ١٣٩٧هـ-١٩٧٧م.
١٢٤- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، احمد مطلوب، الدار المصرية للموسوعات، ط١، ١٤٣٧هـ-٢٠٠٦م.
١٢٥- معجم مقاييس اللغة، ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.

١٢٦- مفتاح العلوم، ابو يعقوب يوسف بن ابي بكر محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب حواشيه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

١٢٧- المفردات في غريب القران، ابو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: واعداد مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار مصطفى الباز، مكتبة نزار مصطفى الباز.

١٢٨- مفهوم الخطاب الادبي، ابراهيم صحراوي، مجلة الموقف الثقافي، بغداد، عدد ٩، ١٩٩٧.

١٢٩- مقدمة ابن خلدون، عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ)، دار احياء التراث العربي، (د.ت).

١٣٠- مقدمة ابن خلدون، وهي الجزء الأول من تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

١٣١- مقومات النهوض الاسلامي بين الاصالة والتجديد، عامر الكفيشي، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ٢٠٠٦.

١٣٢- مملكة بني الاحمر في الاندلس وعلاقتها بالممالك المسيحية ٦٥٢-٨٩٧هـ، احمد جميات، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠١١-٢٠١٢.

١٣٣- المناظرة في الاندلس (الاشكال والمضامين)، امنة بن منصور، دار الكتب العلمية، ط١، ٢٠١٢.

١٣٤- منهاج البلغاء وسراج الادباء، حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣، ٢٠٠٨.

١٣٥- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد علي التهانوي، تحقيق: علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٦.

١٣٦- النشاط الاقتصادي في سلطنة غرناطة ٦٣٥-٨٩٧هـ، زمان عبيد وناس، دار الرضوان للنشر، مؤسسة دار الصادق للثقافة، عمان، ٢٠١٢.

١٣٧- نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، احمد بن محمد المقري التلمساني (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: احسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ-١٩٦٨م.

١٣٨- النقد الأدبي، احمد امين، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، ٢٠١٢.

١٣٩- نقد الشعر، ابو الفرج قدامة بن جعفر بن زياد البغدادي (ت ٣٣٧هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية، ط١، ١٣٠٢هـ.

١٤٠- نقد النثر، ابو الفرج قدامة بن جعفر، تحقيق: طه حسين، عبد الحميد العبادي، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٥١هـ-١٩٣٣م.

١٤١- النكت في اعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي بن عبد الله ابو الحسن الرماني المعتزلي (ت ٣٤٨هـ)، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، القاهرة، ط٣، ١٩٧٦م.

١٤٢- نهاية الاندلس وتاريخ العرب المتنصرين، محمد عبد الله عنان، العصر الرابع من كتاب دولة الاسلام في الاندلس، ط١، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م.

١٤٣- نهاية الايجاز في دراية الاعجاز، فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: نصر الله حاجي مغني، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٤٢هـ-٢٠٠٤م.

١٤٤- نهاية الوجود العربي في الاندلس، علي حسين الشطشاط، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

١٤٥- النهاية في غريب الحديث والأثر، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الاثير (ت ٦٠٦هـ)، تحقيق: محمود محمد الطناجي، طه احمد الزاوي، المكتبة الاسلامية، ط١، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

١٤٦- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفدي، تحقيق: احمد الارناؤوط، تركي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٢، ٢٠٠٠م.

١٤٧- الوساطة بين المتنبي وخصومه، ابو الحسن علي بن عبد العزيز القاضي الجرجاني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق وشرح: محمد ابو الفضل ابراهيم، علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه.

١٤٨- وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أحمد راغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، سوريا، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.